روايات عبير

مارجري هيلتون

عذراء في المدينة

www.rewyti.com

١١

www.rewayti.net

عذراء في المدينة

ميراندا وردة ريفية بيضاء ، جاءت الى لندن لتعمل في شركة مديرها العام جايسون معروف بمغامراته العاطفية . الجميع يخافون جايسون وهو دائما على سفر ، لكن الظروف تشاء ان يلتقيا ، هي العذراء البريئة برأسها الملىء باخلاقيات وتقاليد تعتبرها المدينة الكبيرة بالية ، وهو بسطوته وخبرته في المجال العاطفي .. وتلتمع بينهما تلك الشرارة الغامضة التي لا يستطيع مخلوق أن ينكر سلطتها على القلوب . لكن جايسون لا يبوح بحبه ، وحتى بعد الزواج تبقى اشباح الماضي مخيمة على حياتهما . فهل تزوج جايسون لأنه سئم مطاردة النساء ، ام تراه حافظ على علاقة مشبوهة في الظل ؟

حادث قتيلة في الطائرة العائدة به من إحدى رحلاته يكشف لميراندا كل الحقيقة .

www.rewayti.net

١ - من ينام في المكتب ؟

للمرة الثانية خلال عشرين دقيقة، أغلق باب المنزل رقم ٣ في "بايرن سكوير" بعنف كدر سلم الميدان الذي تحف به الأشجار.

ارتعد الباب في اطاره، وتوقفت قطة رمادية مخططة عن لعق وجهها، لتنظر فيما يشبه اللوم الى الرجل الطويل المضطرب الذي ينزل الدرجات الست المؤدية الى الرصيف. ثم ما لبثت أن استانفت تنظيف فرائها الناعم لكن ما أن انقضت ثوان أخرى، حتى دوى صوت اصطفاق ثالث معدني هذه المرة. اذ ركب الرجل السيارة المرسيدس الحمراء التي كانت تقف قرب الحاجز الحجري للطريق وأغلق بابها بعنف ثم انطلق بها بسرعة مزعجة.

انغمس جاسون ستيل في طوفان المرور المتدفق مقتنعا في قرارة نفسه بأن لديه كل المبررات ليفقد أعصابه. فقد جعلوه يبدو مغفلا طوال الوقت. نعم، بدد وقته، وفقد البقية القليلة الباقية من ايمانه بالطبيعة الانسانية. كان أعمى مسلوب العقل أحمق لينفق كل هذا المال على تلك المرأة... يا للنساء، وقلوبهن الفولاذية وعقولهن الصغيرة التي تختفي وراء وجوه بريئة وأجسام مستسلمة، كالحيات السامة. لن يتكرر ذلك. قال هذا من قبل لكنه هذه المرة يعني حقا ما يقول. استغفلته المرأة مرتين في حياته، لكن كان هذه

www.rewayti.net

المرة اكثر حرصاً.

وأوقفته اشارات المرور ثلاث مرات فزمجر صائحاً في المرة الثالثة: يا الهي!

انه يريد صحبة الرجال الطيبة، فمع الرجل تعرف على الاقل أين أنت وتستطيع أن ترد الهجوم بمثله. وتقلصت أصابعه على عجلة القيادة. كان في أمكانه ان يتهور ويخنق "مايك فريرز" الرجل التالي له في العمل والذي كان يثق فيه... غير انه كان طوال هذا الوقت هو وكاترينا...

وبعد أن رشف قدحين من الشراب شعر جاسون انه أكثر هدوءاً لكن مزاجه لم يزل معتلا. فخرج وحدق في السماء الملبدة بالسحب ثم نظر في ساعته فوجد أنها تجاوزت الثامنة مساء بقليل، وقرر فجأة أن يذهب الى مكتبه ليأخذ مذكراته عن الاتفاقية الاضافية مع شركة سترانجكو. لقد فسدت أمسيته في أية حال، وأصدقاؤه غير موجودين الليلة وفقد شهيته، فضلا عن أنه مكبل باعمال كثيرة متأخرة، اذ أضاع وقته في الاسابيع القليلة الماضية على تلك المرأة وتراخى في عمله.

كان المقر الرئيسي لشركة كارونا ستيل يشغل برجاً من الأسمنت والزجاج ارتفاعه ٢٤ دورا ويطل على التيمز قرب محطة بلاك فرايارز. وكان مكتب الاستقبال فيه ما يزال مضاء بنور خافت. ولمح في جزء مرتفع من المبنى ضوءاً دل على أنه ليس خالياً تماماً، كما اعتقد جاسون وهو يوقف سيارته.

صعد الى الطابق الواحد والعشرين وسار الى مكتبه على سجاد سميك يمتص صوت وقع الأقدام مهما علا، لكنه توقف بغتة. فقد أدرك بغريزته أن هناك شيئا ما غير طبيعي، وأن الضوء الذي لمحه من الخارج كان منبثقا من مكتبه. عبس بوجهه واكفهر. فقد ترك مكتبه منذ ما يزيد على ساعتين وهو بالتأكيد لم يترك النور مضاء. سار وهو حريص ألا يحدث صوتا وتوقف قليلا أمام الباب ليندفع اليه فينفتح له. بدا المكتب خاليا للوهلة الأولى، لكن النظرة المدققة أوضحت

انه لم يكن كذلك. فقد رأى قمة رأس تظهر من ظهر الكرسي الضخم الذي يواجه الباب. فتقدم ليضغط على جرس الانذار مزمجرا:

"أخرج"...

لكن الكلام تجمد على شفتيه عندما التفتت اليه فتاة عيناها مملؤتان رعبا ويداها الصغيرتان تتشبثان بعنف بظهر المقعد، وفمها يستدير في تعبير عن الفزع والاضطراب، وحاولت أن تقول شيئا لكن الاضطراب غلبها. واستعاد جاسون رباطة جأشه ووصل الى الكرسي في ثلاث خطوات مسرعة. وانكمشت الفتاة من منظر الغضب البادي على سحنته محاولة الافلات من نظرته. كانت تصف جاثية على ركبتها في الكرسي فامسك بذراعها ورفعها بعنف وصاح:

"أي شيطان أنت؟ أي جحيم أتى بك"؟

ولم تحر جوابا فقد بدت وكأنما الصدمة جمدتها، أخذ يهزها بقوة ألمتها فقالت:

"أنا... أنا... ألا تعرفني ياسيد ستيل؟ أنا أعمل هنا".

"كلا أنت لا تعملين هنا. هناك نحو خمسمائة موظف في هذا القسم، وربما أكثر، ولم يتح لي وقت للتعرف اليهم جميعا".

مرت بيدها على العلامات التي غرستها أصابعه في جلدها الرقيق وقالت:

"أنا أعرف ذلك. أنا آسفة ان أفزعتك ياسيد ستيل".

رأى تقلص حلقها وهي تزدرد لعابها لكن نظرته لم تلن وقال لها:

"حسناً، اني أنتظر تفسيرك يا آنسة... أيا كان اسمك".

خامرته بشأنها عدة ظنون لم يكن أي منها سارا، وأضاف بعبوس ونفاد صبر:

"فسري الأمر، أم هل تودين انتظار الشرطة؟ أجيبي من أنت"؟

ففزعت من ذكر الشرطة وقالت لاهثة:

www.rewayti.net

"لا، أن اسمي ميك... ميرانذا روزميك".
"أنا في انتظار تفسيرك يا آنسة "ميك".
"من الصعب تفسير الامر".
"ذلك ما يقال عادة".
"أعرف، ان كل هذا لابد أن يبدو شنيعا، ولابد أنك اعتقدت"...
وفجأة وقع نظرها على حقيبتها المفتوحة التي تبدو منها ملابسها الداخلية فانحنت بانفعال شديد وأغلقتها ثم أضافت:
"أنا آسفة للغاية لأنك صدمت عندما دخلت ووجدت كل هذا"...
وبدا أنها تجد صعوبة في الاستمرار فتوقفت وتحولت عن نظراته التي تحمل معنى الاتهام، وقال جاسون بقوة:
"الدموع لن تؤثر في، أصغي الي، فأنا أنوي الحصول على تفسير لهذا الاقتحام قبل أن أفصلك بنفسي وألقي بك خارج المبنى مع كل الزبالة التي حملتها معك".
"أنا آسفة ياسيد ستيل انه خطأ لا يغتفر، أنا أعرف ذلك، لكني لو استطعت فقط أن أجعلك تفهم، لكن"...
وهزت رأسها وبدأت في جمع المنديلات والشوكولاتة والقت بها جميعا في الحقيبة ونظرت الى علبة الحليب والتقطتها ثم أعادتها الى مكانها في يأس، وكررت:
"أنا آسفة، أنا... كل ما أستطيع قوله أن مخاوفك لاتمت الى الواقع بصلة، فأنا لم أت للسرقة، لك أن تفتش حاجياتي ان لم تصدق، وأنا أدرك تماما أن لك كل الحق في أن تغضب، لكني سأذهب الآن و"...
فسد طريقها الى الباب وأمسك بذراعها قائلا:
"لا".
توقفت فورا ونظرت اليه، وامتزجت رموشها الحريرية الطويلة بالدموع وبدت آثار البكاء واضحة حول عينيها، وقالت:

"دعني أذهب، أرجوك، لا أستطيع أن أفعل شيئا أكثر من الاعتذار".
"دقيقة واحدة، لم أنته بعد، هل هذا هو كل ما تستطيعين قوله؟
"ما الذي تتوقع مني أن أقوله"؟
"تستطيعين أن تقدمي تفسيرا أكثر اقناعا".
وتنهدت قائلة:
"هل ستصدقني؟ وهل أنت على استعداد حتى لأن تصغي الى مجرد اصغاء دون أن تنهال علي بالاتهامات؟
"لماذا أيتها الوقحة البذيئة"؟
كان صوته عاصفا على نحو بدا غريبا حتى في أذنيه، وانتابه احساس سبب له اضطرابا، احساس يشبه الخجل وأدرك أنه أفرط في صب جام غضبه عليها، لكنه أعطاها فرصة للدفاع عن نفسها ولم تفعل وقال لها متذمرا:
"أنا مصغ اليك".
وأخذت نفسا عميقا واستدارت اليه لتواجه نظرات الاتهام في عينيه، واستعادت قدرا من تمالك النفس، ورغم أن عينيها كانتا تموجان بدموع بدت معتزة بنفسها وهي تقول:
"من فضلك، دعني أذهب، انك تؤلم ذراعي".
وانقلب الميزان بصورة ما وبدا هو يحس أنه غير مرتاح وانتابه شعور غريب مقبض وقال:
"لا أنوي أن أتركك، لماذا جئت وأثرت كل هذا الاضطراب؟
"لم أقصد هذا أبدا، لو عرفت أنك ستعود الليلة لفكرت في شيء آخر لكني لم أتوقع أبدا"...
"فكرت في ماذا؟ بديل لماذا"؟
وتنهدت قائلة في يأس:
"أعتقد أنه علي أن أخبرك، والا لن تصدقني أبدا: كنت سأمضي الليل هنا".
"هنا في مكتبي"؟

www.rewayti.net

فأومأت مؤكدة، فقال لها:

"لكن لماذا"؟

"لماذا يقضي انسان الليل في مكان ما؟ لأن قضاءه في الشارع ليس اكثر مدعاة للسرور".

وفغرت عيناه دهشته وهو يقول:

"أليس لك بيت"؟

فابتسمت بوهن ثم قالت:

"أشارك ثلاث فتيات أخريات في شقة. واعتقد انه يمكن ان نسميها بيتاً".

"اذن لماذا لم تذهبي الى هناك الليلة"؟

فخفضت عينيها وحولت وجهها بعيدا وهي تقول:

"أستطيع أن أقول أن نوعا من الطوارئ، منعني".

"هل هو المرض؟ هل تواجهين مشاكل من نوع ما"؟

وتقلص فمها بمرارة وسخرية وهي تقول:

"كلا، على الاقل ان لم تعتبر الموقف الذي أجتازه مشكلة".

"اذن لماذا؟ بصراحة ان كلامك غير منطقي".

"أعرف. لكني أشك أنك ستفهم اذا أخبرتك بالحقيقة هل تصدقني اذا قلت لك انني، لم أت لأسرق؟ كل ما كنت أريده هو مأوى لقضاء الليل".

ورأى نظرتها تجول عبر مكتبه حول ولاعة المكتب الفضية والقلمين الثمينين، وصندوق السكائر الكريستال المحلى بالذهب الذي كان الهدية الأولى الوحيدة التي أعطتها كاترينا له ثم رد بصرها اليه وهي تقول:

"ألا تستطيع ان تقبل اعتذاري وتدعني أذهب"؟

"الى أين"؟

"هل هذا يهم"؟

"يجب أن يكون لك مكان تذهبين اليه"؟

"تلك مشكلتي، أليس كذلك"؟

وجمعت حاجياتها ومشت الى الباب، فقال لها:

"دقيقة واحدة".

فاستدارت اليه وعلى وجهها سيماء التحفز. ورأى استعدادها للدفاع مرتسماً على شفتيها الصامتتين المنضغطتين فقال لها ببطء:

"ما الذي يجعلك متأكدة أنني لن أفهم"؟

"لأنك في حالة غضب شديد ثم لماذا تهتم أن تفهم"؟

"ألا تعتقدين أنك مدينة لي"؟

"قلت لك، أني أشارك ثلاث فتيات أخريات شقة، ولا أعرف ما اذا كنت قد جربت أن تعيش في ثلاث غرف صغيرة مع ثلاثة أشخاص آخرين. الحياة الخاصة هناك تقل لأقصى حد، بل تنعدم فعلا. والأمور يمكن أن تسير فقط اذا قبلت ذلك، وحاولت ألا تنفس عن غضبك".

وترددت مرة أخرى، فأحس بالعنف. لماذا لا تدخل في الموضوع؟ من الواضح أن شجاراً ما حدث وأن زملاءها القوا بها الى الخارج لكن الامر لا يستدعي أن تأخذ الأمر بهذه الخطورة، وقال لها:

"ان هذه الأشياء تحدث في كل الأوقات، ويتعين عليك أن تتعلمي الصمود وألا تثوري. هل طردتك زميلاتك عنوة أم تركت لهن الشقة بمحض ارادتك"؟

"كلا، لم يكن الأمر كذلك على الاطلاق. أنت لا تفهم المسألة. الأمر مقصور على هذه الليلة بالذات. لم يكن مناسبا أن أقضي هذه الليلة بالذات معهن".

بدأ يدرك الموقف، وضحك. لابد أن خياله شاخ اذ نسي المشاكل التي تواجه الانسان وهو يقوم بمغازلة فتاة في غير منزله الخاص، وعاد بذاكرته الى الوقت الذي أمضى فيه ستة شهور في فرع باريس، ومشاكل المشاركة في الشقة عندما كان يحضر كل حبيب حبيبته ويتعين عليه أن يتأكد أولا من خلوها، واضطرار هؤلاء الى البقاء في الخارج. أخذ جاسون يتذكر كل هذا مبتسما لكن الفتاة عاجلته قائلة بحدة:

www.rewayti.net

"ان الامر ليس ترفيها".
"آسف، كنت أفكر في شيء آخر".
"انك لم تكن تصغي حتى مجرد اصغاء، بعد أن احدثت كل هذه الجلبة".
"كنت أصغي اليك. لكن لماذا كل هذا الاستعجاج، اذا كانت زميلتك تريد أن ترفه عن شخص دون وجودك فيمكنك بالتأكيد أن تمضي الليل مع أحد الأصدقاء أو تذهبي الى فندق لهذا الغرض".
"الفنادق تكلف المرء نقودا".
فهز كتفيه وهو يعجب لماذا يهتم بأن يقدم لها الاقتراحات. الافضل أن يتخلص منها ويجمع مذكراته دون أن يبدد المزيد من الوقت. وسحب مفاتيحه واتجه ليفتح الدرج الأعلى من المكتب. فقالت لم دون مواربة:
"اننا في أواخر الشهر، وأنا مفلسة وأنت لم تزل غير مدرك للأمر".
"يا آنسة ميك، هل هناك ما يتعين ادراكه سوى أن لك موهبة مرموقة في أن تعطي لنفسك حريات فاضحة"؟
لم تحر جوابا ولكنه رأى ظلا عبر مكتبه فرفع عينيه ورآها متجهة الى النافذة، حيث نظرت محدقة الى تلك السجادة اللامعة من أضواء لندن التي تمتد الى السماء السوداء، وقالت ببطء:
"زميلاتي سيشتركن في حفل من نوع خاص ويرغبن مني المشاركة فاعتذرت ولهذا انا هنا".
وهنا بدا وجهه متجهما. في صوتها الصريح شيء جعله يتجهم. ورغما عنه شعر للمرة الثانية بأنه غير مستريح، أي شيطان ساق اليه هذه الفتاة؟ وسألها:
"ماذا تعنين؟ نوع خاص من الحفلات"؟
وأحس بأهتها قبل أن يسمعها، وكان أول ما تبادر الى ذهنه أنه حفل لتعاطي المخدرات، لكنه قبل أن يصرح

بظنونه قالت له في يأس:
"انك تعتبر الأمر شيئا مسلما به ولا يثير الفضول، وكل من لا يسير في ركاب هؤلاء القوم يعتبر جبانا ورجعيا".
فأجابها بحدة:
"اذا كنت تقصدين ما أعتقد أنك تعنينه - وهو المخدرات - فاني لا أقبل ذلك ولا أسلم به. واذا كان هذا هو ما يجري في شقتك وتريدين أن تبتعدي عنه، فابتعدي ولا تبالي بما يقال عنك".
لابد أن كلماته كشفت عن اشمئزازه على نحو لم يتوقعه هو، فقد أدارت رأسها وبدأت تتأمله وابتسامة الاجهاد على شفتيها وهي تقول:
"أليس هذا هو ما فعلته؟ فلم كل هذه الجلبة؟ انها لم تكن حفلة مخدرات هذه المرة ياسيد ستيل، انما حفلة حب".
"هل أنت رجعية يا آنسة ميك"؟
"لا أعتقد أنه يعنيك ما أكون. واني لآسفة، هل كل هذا الوقت الذي ضيعناه لا جدوى منه، لا أقصد وقتي بل وقتك".
ووقفت صامتة يختلط القلق والفضول على وجهها كما لو كانت تنتظر الاذن منه لكي تهرب، ثم أضافت:
"أنا... أنا لا أستطيع أن أبقى هنا الآن. ولذلك اذا كنت"...
وأبدت اشارة تدل على رغبتها في الانصراف. وأحس هو فجأة بالرغبة في الخروج من المبنى. ونظر الى ساعته وأدهشه أن ساعات انقضت وليس فقط عشرين دقيقة منذ أن دخل المبنى. ووضع الأوراق في حافظته ونظر الى أعلى ليرى أن الفتاة لم تتحرك. كانت واقفة بلا حراك تحملق فيه فقال لها:
"تعالي، تناولي بعض الطعام".
"ماذا"؟
"قلت تعالي تناولي بعض الطعام".

www.rewayti.net

"معك"؟

"ولم لا، هل هناك شيء منفر يبرز من أذني".

وهزت رأسها في يأس قائلة:

"كلا، لكن... أعتقد"...

"أوه، بحق السماء كفي عن الجدل، لا تخشي أن آكلك".

"نعم أعرف ذلك، لكن... لكني لا أفهم".

"لست مجبرة على الفهم. أنا جوعان، ولا أحب أن آكل لوحدي".

فتقدمت للأمام غير واثقة، ثم توقفت وقالت:

"ليس لي أن أعتقد أنك أردت أن تأكل معي".

تنهد جاسون وكظم غيظه وهو يقول:

"اسمعي يافتاتي. لا أعتقد أنك في وضع يسمح لك بالتفكير. اما أن تفعلي ما أقوله أو أدعو الحارس ليلقي بك الى الخارج، هاذا تختارين"؟

"لم تترك لي الخيار. حسناً، لكن ملابسي لا تتناسب مع الأماكن الراقية التي أعتقد أنك تتردد عليها".

"لن أتردد على أي منها الليلة. سنذهب الى حانة صغيرة هادئة".

التقطت حقيبتها وسارت نحوه وهي تقول متشككة:

"هل هناك حانات هادئة"؟

اصطحبها الى الخارج قبل أن يطفيء النور وهو يقول:

"الصحبة وليس المكان، هي التي تحدث الضجة".

بقيت بعيدة عنه تنظر الى اللوحة المضيئة والمصعد يهبط بسرعة وهدوء للطابق الأرضي.

ونظر اليهما الحارس الليلي قبل أن ينظر لزميله، وأدرك جاسون أن التكهنات ستكثر بعد رحيلهما ورأت ميك كلب الحارس فقالت:

"أي كلب رائع هذا"!

"لا أعتقد أن هذا سيكون رأيك لو أنك اصطدمت به

خلال الليل".

"لا، لا أظن".

وانتابه وهو يفتح السيارة الاحساس الذي شعر به في المصعد وأخذ يتساءل عما يدور في رأسها؟ هل هي متحجرة فعلا كما تبدو؟ أم أن تلك تمثيلية أخرى فحسب؟

اتجه الى الجنوب الغربي، كان في منتصف الطريق الى مكانه المختار عندما اتخذ للمرة الثانية في الليلة نفسها قراره المفاجيء والغريب، ففي التقاطع التالي اتجه يمينا وتجاوز غرين بارك متجها الى حي سوهو.

ولم تتخل عن صمتها وهي تنزل من السيارة، لكنها للمرة الأولى اقتربت منه قليلا وهما يقتربان من مدخل مظلم. وحياه البواب باسمه، وفتح لهما الباب، وأحسا بالجو الدافيء العبق. ونظرت اليه الفتاة مرة أخرى وهو يصطحبها نازلين عبر سلالم حلزونية ضيقة. وكبت جاسون تكشيرة أوشكت أن ترتسم على وجهه عندما بدأ يستعيد ذكرياته في هذا المكان.

كان الوقت ما يزال مبكرا، وهناك عدد من الوجهاء وعدد أقل من الصبية يتناولون العشاء. وكان الحائط المخملي الأسود بشكل خلفية تبرز الملابس الملونة، خاصة الأكثر غرابة.

وعندما جلسا وجهت ميراندا نحوه عينين تنطقان باللوم وهي تقول:

"قلت أننا سنذهب الى حانة هادئة".

"غيرت رأيي".

"ملابسي لا تتناسب مع مكان مثل هذا".

"هراء، فهنا تستطيعين أن تلبسي أي شيء".

"ربما لكني أود لو لم أكن بملابس العمل".

فقال وعيناه تجولان في ملامحها:

"أنت تبدين في خير هيئة. وفي أية حال لا أجد فرقاً كبيراً بين ملابس العمل التي ترتديها الكثيرات من

www.rewayti.net

الموظفات العاملات معنا وملابسهن في الأماكن الأخرى. هناك فتاة واحدة فقط في الحسابات تبدو دوما كأنها في طريقها الى السهرة".

"أوه... انها الآنسة هارفي، ذوقها رائع في الملابس، لكنها تعمل مساعدة رئيس الحسابات، ومن ثم تستطيع أن تمتع نفسها".

"في أية حال، فأنا نفسي مازلت بملابس العمل".

"أنت مختلف".

شعر بالسرور ولم يستطع أن يقاوم الاغراء الدائم بالحصول على ثقة النساء، فقال:

"كيف؟ لماذا اختلف عن ذلك العدد اللانهائي من رجال الأعمال في المدينة"؟

"هل تود حقا أن تعرف"؟

جعله الصوت الهادئ، والأمانة البادية في عينيها الجادتين يخجل من رغبته الخفية في الحصول على اعجاب النساء، وقال بصراحة:

"مركز الانسان في القمة أمر له مساوئه، كما تعرفين. فاذا حدث خطأ ما في العمل فعليه هو أن يتحمل المسؤولية بينما المساعدون في الخطأ لا يرعون".

"انك مختلف لانك تستطيع أن تذهب لأي مكان في العالم. واذا أشرت لتاكسي فانه سيقف والغرسون يراك دوما لحظة دخولك. واذا أعطيت أمرا فلن يكون عليك أن تنتظر لترى ما اذا كان سينفذ. انه ينفذ دوما. الناس يطيعونك غريزيا لأن لك سيماء السلطة. تلك هبة. أعتقد ذلك، وهي الهبة التي يترتب عليها الفرق بين النجاح والفشل في الحياة. وهذا هو السبب في أنك مختلف".

قال جاسون مندهشا:

"بالسماوات، من اين جئت بكل هذا، انت لا تعرفينني حتى مجرد معرفة".

"ليس من الضروري أن تعرف شخصاً لتحكم على قدراته".

رفع جاسون ذقنه قليلا وهو ينظر بلا تركيز الى الطعام الذي وضعه الغرسون أمامهما وقال:

"هكذا يبدو الامر".

وأخذ يتساءل هل تفكيرها عميق حقا، أم ان موقفها المحافظ هذا ليس سوى رد فعل للتهديدات التي وجهها اليها عندما وجدها في مكتبه؟ هل كانت هاربة حقا من الحب او ما يسمونه هذه الايام الانغماس في الجنون؟

واستعاد آليا طبيعته الساخرة الأخاذة التي أصبحت طبيعة ثانية يستدعيها عندما يجالس النساء. ونادراً ماخذلته هذه الطبيعة والآنسة ميراندا لا تشذ عن ذلك. اذ بدا أن رهبتها منه ضاعت، وأن تجاوبها يتزايد وترد على أسئلته فورا وان كان بحياء وخجل. وبدأت تتكون في مخيلته وتكتمل صورة عنها. ولم يندهش عندما اكتشف أنها يتيمة وانها نشأت منذ أن كان عمرها عامين في كنف عمة لها، ولم يستغرق الامر وقتا طويلا ليعرف أن تربية هذه العمة واسمها هيستر كانت حازمة منزعجة وحانية في الوقت نفسه. وقال معلقاً على حديثها حول عمتها:

"أعتقد أنك بذلت جهداً مضنياً لتحصلي منها على حريتك. فالحارس الصارم يمكن أن يكون اكثر تشدداً من الأبوين".

"عمتي هيستر لم تكن صارمة".

"أصحيح أنها لم تكن كذلك"؟

"ماتت منذ أربعة شهور".

"شيء يؤسف له".

وساد السكون لحظة، وبدا يخشى أن تبكي، لكنها هزت رأسها وقالت بصورة أدهشته:

"يبدو أني أسرفت في ذكر حماقات كثيرة عن نفسي".

"كلا، اطلاقا، اشرحي لي كيف أحسست عندما أصبحت فجأة تتحملين مسؤولية حريتك، بعد تلك التربية

www.rewayti.net

المترمتة والحازمة".

ردت بهدوء:

"كان الأمر مرعباً في البداية. فقدت القريب الوحيد لي بين الأحياء وفقدت بيتي، وفي الوقت نفسه أيقنت أني أستطيع أن أفعل ما يحلو لي. كنت أحيانا أحس بالذنب، أعني أني كنت أحب عمتي كثيرا، لكني لم أكن أستطيع أن أتركها وحيدة".

"ولا حتى لكي تتزوجي"؟

وترددت برهة وبدا التفكير في عينيها وقالت:

"غريب أن تقول هذا، من قبلك لا تضحك، لكن"...

فقاطعها قائلا:

"لماذا هو غريب"؟

"كان حلم طفولتي أن أصبح عازفة بيانو، لكن العمة هيستر لم توافق على أي شيء يربطني بأعمال الترفيه. وقالت ان علي أن أفكر في أمر أكثر أمنا ويعول عليه لمستقبلي، مثل العمل بالسكرتارية او التعليم".

"كانت تلك نبوءة فمن جانبها".

"كانت على صواب حسب أسلوبها في الحياة، وأكدت لي أن مواصلة تعلم الموسيقى معناه تبديد النقود لأنني لابد أن أتزوج يوما ما أو أستقر في أسرة".

وتأمل جاسون سيكاره وقال:

"لابد أنه كان في ذهنها زيجة معينة لك. فهل هذا من أحلامك الآن"؟

"أحلام... لا يبدو أن هذه هي الكلمة الصحيحة".

فسألها بتكاسل:

"اذن ما هي الكلمة الصحيحة؟

"فكرت لحظة ثم قالت:

"لا أعرف، لكن كلمة أحلام تعبر عن السعي لتحقيق أهداف ذاتية، وذلك ليس الموقف السليم بالنسبة الى الزواج".

لمست بكلامها هذا وترا حساسا في نفسه فشعر بالاعتماض، وأصبح صوته قاسيا وهو يقول:

"لا أعتقد ذلك".

وفكر في تغيير الموضوع لكنه قبل أن يتكلم عاجلته قائلة:

"الزواج يجب أن يكون هو الذرة في كل العلاقات الانسانية. وعلى الناس أن يتناولوه بجدية أكبر وبلا أنانية، وأن يدركوا أن العلاقة الطيبة لا تتم فجاة او بصورة سحرية. بل يتعين بناؤها واكتسابها شانها شان أي شيء آخر".

قال ساخرا:

"هذا يعني أن البعض يكسب والآخرون يدفعون".

"كلا. ان هذا من أخطر المفاهيم الخاطئة التي تسود حاليا - وهو أنه يمكن شراء كل شيء مهما كانت قيمته. الحب والثقة لا يمكن أن يشتريا، بل يتعين تبادلهما طواعية. لكن الكثيرين يخشون أن يعطوا طواعية اذا لم يحصلوا على مقابل".

رمقها جاسون بنظرة فاحصة أكدت له أنها تؤمن تماما بما تقول وكان على وشك أن يسخر من فلسفتها هذه لكن شيئا ما أوقفه وقال بدلا من ذلك:

"ان الامر أكثر تعقيدا فيما يبدو. وفي أية حال أعتقد أن الزواج ليس محببا بين الشباب هذه الايام".

وبقيت صامتة طويلا لا تعلق وظهرت في ملامحها امارات اليأس والقنوط فسألها:

"ما بالك؟ انك لم تمضي سوى شهرين في المدينة الكبيرة، فهل كان ذلك كافيا لتبديد كل أوهامك"؟

ضاقت نظرتها الزرقاء وركزتها على وجهه، واعتر كتفاها النحيلان تحت وقع زفرة خرجت من أعماقها وهي تقول بصورة محمومة:

"لماذا؟ لماذا تسير الأمور على هذا النحو؟ ان كل شيء خطأ. والخطايا السبع القاتلة أصبحت مختلطة في الأذهان بل

www.rewayti.net

غير مرغوبة. والعفة أصبحت في عيون الناس خطيئة، انهم يعتقدون أن الفتاة تعتبر شاذة ان لم تعمر الى السرير مع كل رجل تخرج معه مرتين".

وساد صمت مقبض. واحس هجاة بالاضطراب وأنه صدم على نحو غريب. واخيراً قال.

"من تقصدين بكلمة أنهم".

"الفتيات اللواتي أعيش معهن وأصدقاءهن من الرجال. أما لا أفهم هؤلاء الفتيات وهن لا يفهمنني. كل ما يستطعن التحدث عنه هو حريتهن المدهشة في أن يفعلن حيالهن بالطريقة التي يردنها، انهن لا يفهمن أن حرية شخص ما يمكن أن تصبح سجنا للآخرين".

"كيف"؟

"لأنهن يصبحن طعاة مستبدات بمن لا يوافقهن".

"على أي نحو"؟

"بالسخرية والتهكم، ان لهن حريتهن، حسنا ويستطعن أن يبدأن علاقة ما، وان يوقفنها في الوقت الذي يقررن فيه ذلك، أنهن يستطعن أن يجربن كل الافكار في الحياة و"...

"أفكار جديدة؟ ليس هناك أي أفكار جديدة، كيف ارتبطت بهذه المجموعة من دون الناس جميعا"؟

"أجبت على اعلان في عمود الاعلانات الشخصية جاء فيه: مطلوب فتاة رابعة تشارك في شقة... الشقة جميلة، وقد بدون لي فتيات لطيفات. وكنت أكره دار الشباب بعد اقامتي فيها لمدة اسبوعين. في أية حال، فالانسان لا يستطيع أن يقيم طويلا في هذه الدور، كانت مجرد محطة حتى أجد مكانا دائما. وكنت أشعر بالحاجة الى أن يكون لي مكاني الخاص بي، وأن تكون لي حياتي الخاصة، لكنني أتهمت نفسي غير طبيعية. وانا لم أنضم لتلك الحفلات يقال عني أني مغرقة في الرجعية وصمة الارضاء.. نكن لي الحق في أن أحيا الحياة التي أريدها وفق المبادئ، التي اؤمن بها. وأنا لا أحاول

أن ألقي المواعظ على الناس، فلماذا لا أترك لنفسي".

قال بهدوء وهو ينظر اليها مليا.

"اعتقد أنك صغيرة وساذجة الى حد لا يتيح لك فهم الاجابة على ذلك السؤال الآن. أريد أن أفهم كيف تتحدثين بمثل هذه الصراحة الى غريب مثلي؟ لأنني أعتقد أن الرجعيين والمفرطين في الاحتشام لا يثقون بسهولة في الغرباء".

فنظرت بعيدا وقالت

"لا اعتقد أني مفرطة في الاحتشام كل ما في الامر أن لي مبادئي وأشعر أن الناس يهونون من شأنها".

"لم أقصد هذا على وجه التحديد".

فعادت ببصرها اليه وهي تقول.

"انا أعرف لكني أخبرتك بالفعل. فأنت مختلف عن غيرك من الناس وأنت غير متحمس على الاطلاق ولهذا استرسلت في التحدث اليك".

وأومأ اليه غريزته بأن ينظر الى ساعته وعندما فعل اكتشف أنه مضت ساعتان. وأطفأ سيكاره وهو راح حولت بصرها عنه موضحة أنها على استعداد للرحيل عندما يريد وقاما بالفعل.

وعندما خرجا الى الشارع كانت السماء تمطر بغزارة، واختارا المسافة القصيرة التي تفصلهما عن السيارة فيمتد قال لها

"هيا الى أين الآن"؟

فتنهدت وهي تقول:

"يبدو أني نسيت هذه المشكلة لبرهة".

فأدار السيارة وانطلق بها وهو يقول

"أما أنا فلم أنس، واعتقد أن هناك اجابة وحيدة لذلك".

"هل... هل ستسمح لي بأن أعود ثانية الى المكتب"؟

"يا للسماوات، كلا! سأعطيك سريراً تقضين فيه الليلة".

"سرير؟ ماذا تقصد؟ أين"؟

www.rewayti.net

"في مسكني، أين يمكن أن يكون غير ذلك"؟

"كلا! لا أستطيع! شكرا لك! لا أستطيع".

"لم لا؟ ما لم يكن هناك ترتيب بديل في ذهنك".

وأدرك من صمتها أنه ليس لديها حل بديل، وقال بلا حماس.

"أستطيع أن أقول أن لديك ثلاثة بدائل للاختيار منها مخاطر تلك الحفلة، والبرد والبقاء في الخارج، وساحة بيكاديللي هي المكان المفضل لذلك، أو الذهاب الى مكان تتوافر فيه كل وسائل الراحة في مكان محترم، فما هو قرارك"؟

فتنهدت في يأس وهي تقول.

"أنت تعرف أنه لا يمكن أن يكون الحل واحدا من هذه البدائل لو أنك فقط لم تعد هذه الليلة".

"لكني رجعت أنت لا تثقين في، وتعتقدين أني أتآمر على براءتك".

فقالت في صوت ضعيف مضطرب

"لا أعرف كيف أفكر".

"هل الفكرة مرعبة؟ هل الامر كذلك"؟

"كلمة مرعبة ليست هي الكلمة الصحيحة".

"نسيت أنك دوما تبحثين عن التعريف الدقيق يا آنسة ميك هل عبارة مثيرة للاشمئزاز".

"كلا، أعتقد أن كلمة محزن كافية".

وأدت المشاعر التي كشف عنها صوتها الى تغير موقفه، فأوقف السيارة فجأة ومضى بها الى الموقف، ولم يبذل جهدا لاخفاء غضبه وأدار وجهه الى حيث تجلس لتواجهها وعندما اقترب منها انكمشت وغاصت في مقعدها فقال لها بغضب

"لا تنظري الي كما لو كنت فاسقا أسيرا للشهوات، أنا أول من يعترف بأنني أحب النساء، لكن ليس الى الحد الذي ترتابين فيه وعندما أريد الترفيه عن نفسي فمن المؤكد أني لا أجد ذلك مع صغيرة بريئة ممسوءة رعبا وكأنها قدمت سوا

من موعظة في العصر الفيكتوري، والآن أصغي الي أيتها الصغيرة، سوف أعطيك فرصة واحدة أخيرة، فاغتنميها أو أذهبي الى الشيطان والى تلك المدينة التي تفتح أبوابها لكل طارق والتي ترتعبين منها".

كانت يداه ترتعشان وهو قابض على عجلة القيادة وأدار السيارة وانطلق بها ثانية، وهو يقول

"هناك فندق قريب، أعرف مديره، سأحجز لك الليلة فيه حيث تكونين آمنة، وبعد ذلك افعلي ما يحلو لك، ومن الخير لك أن تبحثي عن بيت جديد، أو أن تعودي حتى الى بلدك، فالفتيات الصغيرات مثلك لا يجب تركهن في متاهات لندن".

ووصل الى مسامعه صوت انتحابها مما أثار موجة جديدة من غضبه فقال ساخطا

"بالله عليك حاولي ألا تنتحبي ونحن ندخل الى الفندق".

"كيف أستطيع هذا؟ ليس معي نقود، لقد قلت لك ذلك".

"أنا أذكر هذا، وأشك أن أي فندق محترم يقبل أن يستضيفك في هذا الوقت من الليل وبتلك الأمتعة القليلة مهما كان لديك من نقود، تركي لي هذا الامر، ولا تجادلي إن كنت عاقلة".

ونزلت من السيارة ببطء ومضت تتعثر خلف خطواته القوية الواسعة وهو يذرع الممر القصير الذي تحف به الاشجار وعندما لحقت به قالت له

"سأسدد لك نقودك بأسرع ما أستطيع شكرا لك على الطعام و"...

"انسي ذلك".

كان يريد أن ينتهي من كل هذا ودفعها برفق الى الداخل حيث أعطى تعليماته لكاتب الاستقبال الليلي وانتهى الاتفاق في دقائق ثم تمنى لها ليلة سعيدة وفر مسرعا الى سيارته.

وعندما وصل الى بايرن سكوير كان قد نجح في أن ينزع من ذهنه كل ما يتعلق بالآنسة ميراندا "ميك".

كان نادرا ما يشعر بالحاجة الى تحليل دوافعه وأعماله،

www.rewayti.net

لا فيما يتعلق بادارة الاعمال، ولم يكن يريد ان يخرج على هذه القاعدة الآن، لكن أي طفلة غريبة هذه، كان يظن أن مثيلاتها انقرضن. وتثاءب جاسون وأحس بتعب وملل مفاجئ، من نظام حياته، فيوم الاثنين سيذهب الى بون، ويوم الاربعاء سيذهب الى ستوكهولم ليعود الخميس الى لندن، ثم يذهب الى نيويورك الاثنين التالي... ان جدول الأسبوعين التاليين لا يبعث على السرور. ربما استطاع أن يأخذ استراحة بعد رحلة أميركا، ربما استطاع أن يتوقف هي... وقطع رنين الهاتف حبل أفكاره وعندما وصل اليه واستمع الى المتحدث صاح.

"ليسا".

"هل دهشت".

"جدا، لكني لم"...

"أن أعرف يا عزيزي، لكن اسمع، هل أستطيع أن آتي لأراك"؟

"بالطبع، لكني اعتقد أنك"...

"أن اعتقادك خاطئ، يا عزيزي. ذهبت الى ايطاليا عند اختي وكان المفروض أن أعود غدا، لكني عدت اليوم، قبل الموعد بأربعة وعشرين ساعة وزوجي جيمس لا يعرف أني عدت. لذلك فكرت أن آتي اليك وأبيت عندك".

وفجأة وجد جاسون نفسه يقول بصوت أجش: نعم. فهمست قائلة.

"مضى وقت طويل. سنة تقريبا. افتقدتك كثيرا، وعاملت أشعر بالذنب لاني أذيتك، ولذلك فكرت في أن آتي اليك، فربما استطعت أن أجعلك تعفو عني... ربما... ولذلك جئت قبل موعدي بأسبوع لأقالك، فهل كنت محقة"؟

فأجاب في اقتضاب:

"لا تدفعيني الى الاجابة على هذا. أين أنت"؟

"في المطار".

"سآتي لآخذك، سأصل اليك في عشرين دقيقة"...

"كلا، سأستقل تاكسي. لابد أن أكون معك سريعا".

"هل أكلت"؟

"أتناء الرحلة. لا تشغل بالك بشيء. أنا فقط أريد أن أراك ثانية أوه يا جاسون إنه لأمر رائع أن أسمع صوتك ثانية. فقط أعني، الشموع لأجلي، بالطريقة التي اعتدنا بها أن"...

وتوقف الصوت الناعم، وانقطع الخط.

ورايلت جاسون حالة العلل، وسارعت دقات قلبه. للأسف ليس لديه زهور... وليس هناك شموع أيضا.

خافتا النور الرئيسي وترك فقط مصابيح الجدار الوهنة الضوء، وأشعل المدفأة وتأمل الغرفة الداخلة الجذابة.

ليسا. عجبا كيف تعرف دائما متى يكون هي أشد الاحتياج اليها!

www.rewayti.net

٣ - عودي الى عملك يا آنسة

حتى في الساعات الأولى من بدايات أسابيع العمل وبعد العطلات الاسبوعية، لم تكن غرف الموظفين في شركة "كاروا ستيل" تخلو من جو الحماس والمثابرة، ويرجع ذلك في جزء منه الى اختلاف تقييم الشركة لمستخدميها. وكان المسؤولون عن الشركة يدركون تماما أن المستخدمين يستغرقون جزءا كبيرا من كل يوم الأسبوع هذه الأيام ليهيئوا أنفسهم فكريا للعمل، وأن المستخدمات بصفة خاصة لا يطمئن لهن الا بعد التأكد من أنهن يبدون في أحسن مظهر، ووفرت الشركة كافة وسائل الراحة اللازمة لكل من يعمل لديها. لذلك كانت غرفة السيدات في الطابق الخامس وهي تضم كل ما يحتاج اليه السيدة العصرية، من مرطبات الاعشاب، أجهزة وسيع العطور والمستحضرات والثياب من آخر النوع الذي يوجد في محلات الدرجة الأولى.

وفي يوم الاثنين التالي للقاء ميراندا مع جاسون، كانت ميراندا في غرفة السيدات مع زميلاتها، وأرادت سوزان صديقتها شراء ثوب وفتحت حقيبتها بحثا عن النقود وشعرت أناملها في صمت وهي بعدها ثم تجمدت متذمرة وهي تقول "يا للهول ان شراء جوارب حتى من الأنواع الرخيصة سيجعلني مفلسة اليوم. ميراندا هل يمكن أن تقرضيني خمسين" من فضلك... سأردها لك غدا دون تأخير، أعدك بذلك".

وكانت تحدق في ميراندا برجاء من خلال المرآة، وهي ماعدة الصبر وأضافت

"ذا لم تعطني فلن أتناول طعام الغداء او سأضطر الى أن أقطع المسافة في العودة الى منزلي سيرا على الأقدام".

وضعت ميراندا المنشط من يدها دون أن تنطق بكلمة ومضت ى حقيبتها وأخرجت منها النقود ووضعتها أمام سوزان. ضمضمت هذه قائلة

شكرا لك. سأظل مدينة لك الى الأبد".

وبدأت مشاء الجوارب والذهاب لارتدائها. وعندما عادت ى المرآة لتلقي بنظرة اطمئنان على منظرها، كانت ميراندا ترال واقفة بلا حراك. وقالت سوزان:

ه ليس رديئا. وان كنت أفضل الأنواع الموجودة في الآلة أخرى، لكنها عادية فالاقدرة تحقق منها ربحا كما هو شأنها ي كل شيء. ميراندا ما بالك؟ انك تبدين كأنك رأيت

سحدت ميراندا عن المرآة وهي تقول.

هو كذلك. اني شاحبة بصورة فظيعة. هل أنت جاهزة

ن؟"

ن.

ن؟"

سرعت ريما هارفي زميلتها وهي تقول تعليقا على حالة

هو كأنها ذاهبة الى المقصلة، ما بالك ياميك؟"

ن؟"

ت ميراندا شفتيها وهي ترى ريما هارفي، تتجه الى ن" انها ثرثارة تتدخل فيما لا يعنيها. وانتظرت صديقتها سوزان بفروغ صبر، وعندما جاءت هذه تثرثر عن جواربها، بينما وقفت ميراندا تسترق السمع وهي أمام المرآة وقد سحبت منها الكثير مما جعل

www.rewayti.net

وجهها شاحباً. فقد عاد جاسون.

جلست ميراندا الى مكتبها ونزعت غطاء الآلة الكاتبة. آه لو علمت ريبا هارفي كم كان كلامها قريبا من الحقيقة. فقد مضت تسعة أيام بالضبط على تلك الليلة التي حاولت فيها العبث في مكتب جاسون. كانت أعصاب ميراندا قد بلغت أقصى حدها من التوتر. ففي ذلك اليوم كانت تنتظر استدعاءها للتحقيق، الأمر الذي يعني إنهاء عملها، وعندما حلت الساعة الخامسة ولم يجيء مجراب وسقطت في استرخاء. وعندئذ عرفت أنه مسافر في بون. لذلك لم يجيء أصلاً.

وفي يوم الاربعاء التالي أخبرتهم ريبا التي لا يفوتها شيء أنه اتجه الى ستوكهولم، وأنه يتوقع عودته في اليوم التالي، وسيذهب الى نيويورك في الاسبوع الثاني. وراودت ميراندا فكرة أن تتعارض يوم الخميس، بأمل أن ينسى كل شيء عنها لدى عودته من أميركا. لكنها سرعان ما تخلت عن هذه الفكرة، هل سيهتم بأن يستدعيها شخصياً؟ وتذكرت قوله لها "أخبريني بالحقيقة قبل أن أتمتع بفصلك شخصياً والالقاء بك خارج المبنى".

لكنه أخذها للعشاء، حيث أصبح ساحراً جذاباً تماماً. انها لم تخرج أبداً مع رجل مثله، منحضر، مطلع وجذاب بطريقة مغربة حتى وان كانت ترغبها لا... لا يمكن أن يفصلها!

وتنهدت بصوت مرتفع محاولة أن تمحو ذكرى جاسون عن ذهنها وأن تركز على عملها، ولو كان لها أن تتمثل بالها هدئ يجب أن يكون في سبيل البحث عن سكن آخر ملائم لها. وربما كان السكن الذي ستراه الليلة هو الحل. لكن جاسون ستيل ظل حتى وهو بعيد يسبب قلقاً لميراندا في كل لحظات يقظتها وهو اليوم مثل أي يوم عمل آخر ولم يتم استدعاؤها، لكن هل سيخصم شيئاً من أجرها في آخر الشهر؟ وبعد أن تناولت طعاماً خفيفاً مضت تتذرع العديمة تفتيشاً عن شقة

أخرى صغيرة تشارك فيها زميلة أخرى.

وللمرة الأولى منذ أن بدأت بحثها شعرت بالتفاؤل وهي تضغط على جرس الباب.

كان الشارع يبدو هادئاً بيعث على البهجة، والمنزل من طراز عصر الملك ادوارد، مم طلاؤه حديثاً، وتتسلق اللبلاب على كل شبابيكه. وأحست أن روح عمتها هيستر تبارك مجاهها لهذا المنزل.

وعندما انفتح الباب ورأت ميراندا سيدة سوداء الشعر تقف قبالتها مبتسمة أحست بتفاؤل أكثر وعدمت السيدة سوندرز نفسها وهي تتأمل ميراندا. ويبدو أن ما رأته منها سرها لأنها ابتسمت مرة أخرى بطريقة غير رسمية وتطوعت باخبار ميراندا بأن تلك هي اول تجربة لها في تأجير جزء من البيت، فقد تزوجت ابنتها وهي ارملة وتوصلت الى قرارها هذا بعد أن أخبرتها ابنة أختها أنها ستجيء الى لندن للعمل وأنها تريد مكاناً للاقامة فيه. ومضت تقول:

"ومن ثم فانك ستشاركينها الشقة، أرجو أن تسامحيني لهذا القول، لكن علي أن أكون حذرة فتلك أول مرة تبعد فيها جان عن بيتها وأختي ليست سعيدة بذلك فهي تؤمن بأن كل فتاة صغيرة تذهب الى لندن يعني أنها تذهب للشيطان".

وابتسمت، لكن وجه ميراندا البيضاوي ظل جاداً وهي تقول: "نعم، أدرك ذلك تماماً. وهذا هو السبب في أنني هنا فان روحي تكاد أن ترهق من المكان الذي أعيش فيه حالياً".

"نعم ان الأمر يستغرق وقتاً كبيراً حتى تجدي مكاناً في مدينة غريبة خاصة اذا كان ذلك في المرة الأولى التي تبتعدين فيها عن بيتك. هل تريدين رؤية الشقة؟"

"نعم لو تكرمت".

لم تكن الشقة كبيرة، كانت تتكون من غرفة نوم أمامية وغرفة اضافية في الدور الاول، لكنها كانت مزخرفة بطريقة تدل على الذوق والمشاعر الجديدة مبهجة وجذابة. كانت

www.rewayti.net

هناك خزائن واسعة، ووحدة غسيل ومطبخ".

وقالت السيدة سومدرز وهي تبتسم.

"تستطيعين أن تضيفي الأشياء الصغيرة الخاصة بك إذا كان ذلك يسرك".

ويبدو أنها كانت تنتظر رداً، وترددت ميراندا. كان الإيجار أقل مما تدفعه حالياً وأخيراً قالت

"أنها لطيفة، وتبدو معقولة للغاية".

"ليس لدي النية أن استغل التهاب. وسكون أنا وجان وأنت بمثابة أسرة، وضميري لا يسمح لي إلا بأن أتقاضى منك ما ستدفعه جان، متى ستنتقلين إلى هنا"؟

كانت ميراندا ممزقة غبطة وهي تعود إلى الشقة القديمة. جان لن تصل قبل الشهر المقبل، لكن السيدة سومدرز قالت أنه ليس على ميراندا أن تنتظر مجيئها حتى تنتقل إلى الشقة تم تحديد موعد الانتقال في عطلة نهاية الأسبوع التالية ورغم أنها لم تكن تعرف عن زميلتها في الشقة سوى ما قالته السيدة سومدرز، شعرت أنها تستطيع أن تحيا حياتها في المستقبل بلا تدخل في شؤونها.

لكنها ظلت طويلاً تفكر في أخبار زميلاتها في الشقة القديمة وأدركت أنها تخاف منهن. كن مثلهات أن يعرفن أين ذهبت الليلة التي أقمن فيها حفلهن. ورغم أنها لم تستطع أن تقاوم الرغبة في أخبارهن بأنها تناولت العشاء مع رجل، رفضت أن تكشف لهن عن شخصيته. وكان من المشكوك فيه أنهن صدقنها وأمطرنها بوابل من الأسئلة والاستجوابات جعلها تتساءل بينها وبين نفسها إذا كن سيصدقنها لو قالت لهن الحقيقة كلها فيما يتعلق بتلك الليلة.

ومع ذلك فلم يكن هناك مبرر لخوفها من رد فعلهن أزاء قرارها. فلوير لم تكن تعاني بشيء سوى شؤونها في ذلك الوقت، وكانت فاندا في حالة مزاجية تدفعها للمشاكسة والفضول، وجين وحدها أثارتها فكرة البحث عن فتاة

رائعة أخرى لكن فاندا قالت أنها تعرف واحدة وقالت جين.

"إذا لم تكن هذه الفتاة مناسبة، فانك ملزمة يا ميراندا بدفع أجرة شهر آخر. فنحن لم نطلب منك الرحيل".

ولم تعقب ميراندا على ذلك رغم رغبتها في ذلك، إذ أحست أن مشكلته على الأقل قد حلت. وكان الأسبوع التالي مزدحما بالعمل ومضى سريعاً وفي صباح يوم الثلاثاء طلبت من صديقتها سوزان وهما في طريقهما إلى العمل أن تعاونها في الانتقال، حتى لا تضطر إلى مطالبة زميلاتها في السكن بمعاونتها. وقالت لها سوزان:

"كنت أتساءل عما ستفعلينه، وأنا تحب أمرك تماما، لكن لماذا لا تعاونك زميلاتك في السكن. أعتقد أن السبب هو أنك مستقلة عنهن ومن ثم فهن لسن راضيات عنك".

"حقا، لست أشعر بذلك. وعموماً شكرا لك. فأنت صديقة مخلصة وسأرد الجميل لك يوماً ما. إنني قلقة نوعاً ما. حجزت سيارة تاكسي وأمل أن يكون السائق ودوداً، لأن حظي سيكون سيئاً لو جاء سائق شرس فيستضيع مني أشيائي كثيرة وتضطرب أحوالي".

"سبق أختي مرة عالقة في سيارة تاكسي. كانت ذاهبة إلى حفلة وللمصيبة ليلة هي ممرل صديقة لها، ومن ثم غيرت ما تحتاجه للذهاب للعمل في اليوم التالي في العلبة. ولم تدرك ما حدث إلا بعد أن مضى التاكسي، ولم تستطع أن تتذكر رقمه. وضيعت نصف الحفل في محاولة الاتصال هاتفياً لتعقب السائق، وعندما عرضه قيل لها أنه مضى في رحلة لخارج المدينة"...

ثم تكن ميراندا تصغي. فقد توقفت في منتصف الطريق إلى مصعد الشركة وأخذت تحدق عبر الردهة الرئيسية. كان جاسون خارجا من المصعد مسرعا لا يتلفت يمنة ولا يسرة، وكان الموظفون يفرون من أمامه ليفسحوا له الطريق وهو متجه إلى الأبواب الرئيسية. وأغلقت الأبواب من خلفه

www.rewayti.net

لكنها لاحظت أن ضوء شمس الصباح قد جعل شعره الأسود المنسدل على صدغيه لامعا ومتميزا عن لون بشرته التي تبرق كالفضة. لماذا تضفي عليه لمسة الفولاذ التي يتسم بها شعره مثل هذه الجاذبية؟ وأخذت كل الموظفات السائرات في الردهة يصلحن من زينتهن في الخفاء ووقف جاسون ليتحدث الى شخص ما خلف تمثال من الصلب ينتصب في وسط الردهة. هل كان ذاهبا؟ هل هناك شيء ما؟

وهتفت بها سوزان:

"ميراندا، ماذا أصابك بحق السماء".

"لا شيء... أنا"

وحاولت أن تعود الى طبيعتها وأن توجه انتباهها الى سوزان. أما في داخلها فكانت أفكارها ما تزال مع جاسون وكانت هناك مشكلة أخرى تطلقها هي مشكلة دينها لجاسون، ربما كان الامر لا يعني شيئا بالنسبة اليه، فهو رجل لا يهمه أن يذهب في رحلة لمدة يوم واحد الى اكابولكو ليرى فتاته، لكن المسألة هامة بالنسبة الى ميراندا. فما الذي سيفعله ازاء فاتورة الفندق تلك؟ لا شك أنه ليس فندقا رخيصا. لو كان معها نقود حينذاك لأصرت على الدفع بنفسها ولكن لم يكن لديها نقود وما زالت تحس ارتجاف اللحظة التي اقتربت فيها من موظف استقبال الفندق بعد الافطار. لم يكن ذلك سهلا.

وفي أصيل ذلك اليوم توصلت الى قرار وقبل أن تعيد التفكير فيه ثانية وجدت نفسها في المصعد وهي تضغط زر الدور الحادي والعشرين وقبل أن يتوقف، شعرت بتوتر عنيف وساورتها بعض الشكوك. كان السكون مخيما وكان احساسها بوقع قدميها على السجاد السميك مألوفا لديها، وكذلك الجدران البيضاء والأبواب الزجاجية لغرفة الاستقبال الخارجية واستعدت للقاء الآنسة مايو السكرتيرة التي نهضت من مكانها واستعدت لمقابلة تلك الفتاة المقتحمة. كانت الآنسة مايو مشهورة بشدتها. لا أحد يعرف عمرها،

الذي تتراوح التخمينات حوله بين الأربعين والستين، كما لا يعرف أحد أي تفاصيل عن حياتها الشخصية، فقد قال البعض أنها ترعى والدا مريضا، وقال آخرون أنها متزوجة، لكنها تؤمن بفصل المسائل الشخصية عن مقتضيات العمل، وقال آخرون أنها خليلة والد جاسون السابقة وأنها وعدت الرجل العجوز وهو على فراش الموت بأن ترعى شركة كارونا ستيل طالما كان ابنه يحتاج اليها، وأيا كانت الحقيقة، فلا أحد يستطيع أن يتجاهلها الا اذا كان جاسون هو الذي يطلب ذلك

وتفحصت السكرتيرة ميراندا وهي تطلب مقابلة جاسون وتقول لها بنصف ابتسامة باردة

"السيد ستيل في اجتماع. هل الأمر هام"؟

"نعم أن الأمر كذلك".

"لو تركت له رسالة، فسأطلعه عليها بمجرد أن ينتهي الاجتماع".

وفجأة فقدت ميراندا شجاعتها وقالت:

"سوف... سوف... أقول للسيد... سأقول له... هاتفيا..."

وهرولت مسرعة الى المصعد. وفقدت الأمل في لقائه، لكن اتاها الحظ في وقت لم تكن تأمله. ففي اليوم التالي كانت تتناول طعامها في الكافيتريا عندما رن جرس التليفون ورد عليه أحد العاملين بالكافيتريا، ثم ما لبث أن أعلن بصوت عال سمعته ميراندا، ان السيد جاسون يطلب طعامه. لابد وأنه بقي للغداء، لكن ماذا عن سكرتيرته. وعلى الفور نهضت ميراندا وعادت الى مكتبها وأخذت منه عشرة جنيهات لتسدد الدين الذي يقض مضجعها. وصعدت بالمصعد فورا لتجد الطابق الواحد والعشرين مهجورا، وتنهدت في ارتياح عندما رأت غرفة الاستقبال خالية، فلابد أن الآنسة مايو في الخارج تتناول غداءها مالم تكن تشارك جاسون طعامه.

وتمنت ألا تكون هناك، اذ كانت تخشاها أكثر مما تخشى جاسون نفسه. ومضت في خطوات متلصصة وهي تتسمع -

www.rewayti.net

ثم رفعت يدا مرتعشة لتفتح الباب. وفي تلك اللحظة فوجئت بالباب يفتح، واستطاعت ميرابدا بصعوبة أن تمنع نفسها من السقوط.

كان جاسون هو الذي فتح الباب. وتراجع خطوة للوراء ورفع يده كمن يدافع عن نفسه، وظل الاثنان لحظة يحدقان في بعضهما البعض، وكان هو أول من استعاد رباطة جأشه. وقال:

"حسناً"!

ولم يبد في عينيه أنه يعرفها وان استمر يحدق فيها وكرر قوله

"حسناً"!

وردت ميرابدا وقد زايلتها شجاعتها تماما

"أنا ... أنا آسفة لتذكرني ياسيد ستيل. لكنك.. أنا الفتاة"...

ونسيت تماما الخطة التي أعدتها سلفا ولفها الصمت فلم تجد جوابا لفترة ثم أخذت نفسا عميقا وقالت:

"ياسيد ستيل، أنا آسفة أن اقطع غداءك، لكني أريد"...

"أنت الآنسة ميك الصغيرة".

وأحبط تعرفه السافر عليها محاولتها أن تبدأ الشرح. وتراجع للوراء، وهو يقول لها:

"ألا تتفضلين يا آنسة ميك"؟

وفضحت عيناها عدم ثقتها بنفسها، ودخلت الى الغرفة الفاخرة المريحة ومضى الى الاريكة التي كانت قبلا تريد أن تمضي ليلتها عليها وجلس وهو يقول بجفاء

"ما الذي أستطيع أن افعله من أجلك هذه المرة، يا ميرابدا ميك"؟

"لا شيء، حاولت أن أراك طوال الاسبوع الماضي".

"حقا، اني اتملص فعلا".

"كلا، لكن... كنت أود أن أشكرك، هذا هو كل ما في الأمر".

"على ماذا؟ هل يضايقك أن أواصل طعامي"؟

"أوه، كلا، أنا آسفة. لم يكن لي أن اقطع غداءك. لكن تلك هي الطريقة الوحيدة لكي أجدك منفردا. اد أود أن أعطيك هذا".

وأسرعت تناوله الورقة ذات الجنيهات العشرة وأضافت.

"أمل أن تكون كافية. لكني لا أعرف المبلغ بالضبط. وأردت فقط أن أشكرك، وان اعرب عن بالغ تقديري لما فعلته، لكن لا يمكن أن تدفع الحساب لي. اذا لم تكن كافية فأرجو أن تخبرني".

"ما الذي تتحدثين عنه، وما هذا"؟

ونظر الى النقود في يدها فقالت:

"هذا من أجل فاتورة الفندق".

"أوه، نسيت ذلك من قبل انسي هذا الموضوع".

"نعم أعرف ذلك، لكني لا أستطيع".

"ألم تسمعي عن المجاملات".

"على أن أسدد لك. لا أستطيع غير هذا. ذلك أقل ما أستطيعه".

"حبيبتي، لا أريد أن آخذ مدخراتك".

"لكن"...

"أحدرك، اذا وضعتها على مكتبي فسأنقي بها في سلة المهملات".

"هل تلقي النقود في سلة المهملات"؟

ونظر الى تعبير وجهها المتحدي وضحك على نحو غير متوقع وهو يقول.

"ميرابدا ميك، يجب أن أحذرك. لست معتادا أن أغلب في الجدل وأفقد حجتي".

"سي أقدر هذا ياسيد ستيل أنا لا أريد أن أجادلك، ولا أن أغضبك".

"تساءل ما اذا كانت حساسيتك المفرطة تجعلك تعانين دوما من ذلك العائق".

www.rewayti.net

"أي عائق".

"ذلك التناقض بين طابعك العنيد وبين معنى اسمك فكلمة ميك تعني .لحليم. ولا أدري أيهما هو الأصيل؟ هل الاسم هو الذي يثير فيك عددا كنوع من الدفاع عن النفس؟ أم أنك حليمة بالاسم فقط"؟

"كلا بل حليمة بالطبيعة . ليس هذا عدلا او رحمة. فأنا أستطيع أيضا أن أفسر اسمك بالسيد ستيل، فكلمة ستيل تعني الفولاذ".

وظننت أن مطارق غضبه ستنهال على رأسها، لكنه فجأة انفجر ضاحكا وهو يشير لها الى هيئة طعامه ويقول.

"هل تريدين فنجان قهوة".

"كلا، شكرا لك. وفي أية حال ليس هناك سوى فنجان واحد".

"كلا، سكرتيرتي مستعدة لكل الطوارئ، فدولابها ملئ بكل شئ القي نظرة، ستجدين فناجين نظيفة لك".

"أفضل الا أفعل. فقد تناولت طعامي وحانت الساعة المخصصة لغدائي وسأتأخر الآن".

"أنا لا أصلح عذرا لتأخيرك"؟!

"كلا، لأن الأمر مسألة شخصية جدا".

ومال برأسه الى أحد جانبيه وعلى وجهه تعبير غير مفهوم. ثم وقف فجأة ودار حول المكتب وهو يقول

"نعم، أعتقد أن ذلك مسألة شخصية للغاية. مسألة دين وشرف وما الى ذلك. لم أكن أتوقع أن أسمع عن ذلك ثانية".

"هل تعني أنك اعتقدت اني قبلت فحسب ولم أكن لأهتم بالسداد".

"شئ من هذا القبيل".

"لكني لا أستطيع، خاصة بعد ما فعلته أنا .. وأنت لم تكن تعرفني حتى مجرد المعرفة".

"هل هذا مهم؟ لقد قدمت أنت لي بشخصيتك صورة أخرى من النفس كنت في أقصى الحاجة اليها في تلك الليلة، ومن

ثم فالمسألة ذات فائدة متبادلة".

"لا أفهم".؟

"لا عليك، انسي الموضوع يا آنسة ميك".

"صورة أخرى؟ ماذا تعني بذلك"؟

"هل نسيت مشاعرك المتألمة. فأنت هربت من حفل عربدة تلك الليلة، وانتهى الأمر بأن دفع لك رجل أجر البيت والاقامة... ثم فاتني لا أفهم سبب قلقك"..

وأدهشها هذا الاتهام الضمني، وقبل أن ترد رد سامب تقدم اليها ووضع يده على كتفها، وحدق في وجهها وهو يقول.

"لكني أكره أن تردي الى محاولتي القيام بدور الفارس النبيل".

وقبل ان تدرك مقصده، او تستطيع الاعتراض، أسقط العقود من قبضتها وتراجع الى الوراء، ونظر في ساعته وهو يقول ببرود

"أليس هذا وقت عودتك الى عملك يا آنسة ميك".

www.rewayti.net

٣ – قرب النار

كانت ميرابدا حريصة أشد الحرص على ألا تدهق تلك الورقة الهالية ذات العشرة جنيهات.

وأعفاها انتقالها الى الشقة الجديدة مؤقتا من التفكير فيه، فقد كانت مشغولة للغاية في ترتيب حاجياتها. وبواعز من ضميرها الحي دوما حرصت على ألا تأخذ بوصة زيادة عن حقها في نصف محتويات الشقة كالخزانة، والرفوف، وتركت عن عمد كل المساحات التي تخصها في غرفة الجلوس فعندما تصل جان سيقران معاً مواضع اشياء كل منهما وعادا يوضح بها. كيف تبدو جان؟ هل ستكون ودودة؟ هادئة وجادة، أم مرحة ومحبة للهزل؟ أتمنى أن تكون من محبي الموسيقى الشعبية والبالية مثلي.

وبحلول يوم الثلاثاء، بدأت تشعر أنها في بيتها. وكتبت لكل من يعنيها أمرهم لتخبرهم بعنوانها الجديد. ونظمت المطبخ بطريقة تكفل لها الاسراع بتناول افطارها صباحا.

وفي صباح يوم الجمعة جاءت ريما هارفي بنفسها الى المكتب وألقت على ميرابدا نظرة خاصة وهي تقول لها

"ما هي علاقتك بالطابق الحادي والعشرين يافتاتي".

"لا شيء".

وتدخلت سوزان في الحديث وهي تسأل ريما.

"ماذا تقصدين؟"

ونهضت ميرابدا من مكتبها وركبتاها ترتعشان وهي تسأل.

"ماذا هناك؟"

وردت ريما بوقاحة

"كيف أعرف؟ السيد جاسون لا يخبر أحدا بشؤونه. والآن اذهبي يامير ابدا ولا تتركيه ينتظر في قلق بحق السماء فقد أرسل في طلبك".

كانت راحتا يدي ميرابدا منطلقين بالعرق رعباً وهي في المصعد، ماذا فعلت ليستدعيها السيد جاسون الى برج السلطة هذا؟ انه لم يرسل أبدا يطلب أحدا من تحت سوى رئيس المديرين التنفيذيين لا شك أنه بعد كل هذه المدة لن... ولا يمكن أن يكون غير رأيه بشأن العشرة جنيهات تلك.

وحاولت أن تضحك في سرها، لكنها تأوهت بصوت مرتفع مما جعل رميلها في المصعد وهو رجل عجوز ينظر اليها في حدة. وتنفست الصعداء عندما خرج من المصعد في الطابق الثاني عشر، وضغطت ميرابدا على زر الطابق الواحد والعشرين باصبع مرتعش. كانت الآنسة مايو في انتظارها وحيتها بابتسامة وأومأت لها صوب الباب وهي تقول.

"تفضلي يا آنسة ميلك".

"وأطاعتها ميرابدا ودخلت ثم أغلقت الباب خلفها في صمت. ورأته واقفا الى النافذة. وقلت لأول وهلة أنه لم يسمعها وهي تدخل. لكنه قال بدون أن يستدير اليها"

"اجلسي يا آنسة ميلك".

كان صوته الآمر يبدو طبيعيا لكن ذلك لم يهدئ توترها، وجلست على أقرب مقعد وهي تقول"

"أرسلت في طلبي ياسيد ستيل".

"نعم".

وبلا تعجل عبر الغرفة وجلس على كرسي المكتب ونظر اليها ببرود وهو يقول.

"لماذا لم تخطرينا بتغيير عنوانك؟"

"تغيير عنواني؟ ... أنا ... أنا ..."

www.rewayti.net

"من قواعد شركتنا انه على كل - واقول كل - الموظفين اخطار السجلات بتغيير مكان اقامتهم الدائمة."

"لكني لم أكن..."

وتوقفت عن ادعاء أنها لم تكن تعرف وأخذت تنظر اليه في رعب، لم يكن حقيقيا أنها لا تعرف لكنها نسيت التعليمات التي أطلعوها عليها عند تعيينها، ومع ذلك نسيت رغم أنها عصرت دهنها في الأسبوع الماضي تتذكر كل شيء. وقالت وهي تتعثر بالدمع

"أنا آسفة يا سيد ستيل، نسيت سأذهب فورا الآن وأخبرهم."

ووقفت وهي تقول هذا لكنه رفع يده وهو يقول.

"لم أنته بعد يا آنسة ميك."

ثم غاصت في المقعد من جديد، لماذا يحدث لها كل هذا وسألها:

"متى انتقلت للمسكن الجديد."

"يوم السبت الفائت، قضيت هناك خمسة أيام ونصف اليوم فقط فحسب، وأنا واثقة أني كنت سأتذكر وأخطر السجلات."

"أين يقع هذا المسكن."

"قرب ويلو غروف انه بعيد بعض الشيء لكنه جيد."

"كم غيرك هناك؟"

"لا أحد، انه مملوك لسيدة تزوج كل أبنائها وأصبح المنزل كبيرا بالنسبة اليها، وعندما كنت لها ابنة أخبرها بأنها ستأتي الى لندن بتعص بعد أن أنهت دراستها، فكرت السيدة سودرز أن تحول جزءا منه الى شقة لابنة أختها، على أن تشترك معها فتاة أخرى."

"والشقة هل هي جيدة؟"

"حسنا انها مليحة جدا."

"أليس من المحتمل أن تجعلك تلجأين الى مكتبي في الطوارئ؟"

لم تستطع أن تواجه التعبير الذي بدا في عينيه وخفضت بصرها وهي تقول

"لا أعتقد ذلك."

وضغط على زر جهاز الاتصال على مكتبه وعندما جاءه صوت السكرتيرة قال لها

"سأنتهي خلال لحظة."

ثم نظر الى ميراندا وهو يقول.

"اذهبي الآن فورا الى السجلات حتى لا تنسي مرة ثانية."

وعاد له برودته ثانية، وهي لمعمة موافقة خرجت مسرعة وعندما هي فورها الى السجلات، وهناك وجدت الرجل العجوز الذي كان يراقبها في المصعد فأعطته البيانات وسألها عن رقم الهاتف ثم شكرها قائلا ان هذا هو كل شيء بكنها ترددت لحظة ثم سألته

"هل كان السيد ستيل غاضبا؟"

"السيد ستيل؟ غاضبا؟"

"عندما اكتشف أني لم أخبرك."

"ما الذي تتحدثين عنه يا آنسة، ان السيد ستيل ليس لديه وقت يبدده على أشياء مثل هذه."

"كلا، كنت فقط أتساءل اذا... عندما..."

وكفت عن الكلام وخرجت مهمولة وكانت مشغولة البال عندما عادت الى مكتبها، ولم تبال بنظرات الفضول من سوزان وزميلاتها الأخريات وسألتها سوزان

"ما الذي كان يريده."

"لا شيء."

"لا شيء، اعتقدنا أنهم طلبوك الى الطابق الأعلى ليشكروك على الأقل."

"وه، لقد كان هناك بيان خاطيء في سجلي."

"وهل طلبك جاسون من أجل هذا."

"نعم، وان لم تصدقيني، اذهبي وأسأليه بنفسك."

www.rewayti.net

ولم يبد على أحد أنه يود تنفيذ هذا الاقتراح، ومن ثم استطاعت ميراندا أن تستأنف عملها . وحتى عندما عادت الى منزلها تلك الليلة لم تكن قد استطاعت أن تحل اللغز . فاذا لم تكن السجلات عرفت بانتقالها فكيف عرف جاسون.

* * *

كان ذلك السؤال يبدو بلا جواب . وفي يوم الاثنين التالي، قبل توترها لغيبته، فقد جاءت الأنباء بأنه رحل في تلك السفرة المؤجلة الى اميركا، لكن التوتر بدأ يعود، فاناشون عن الترقية لدى القيادة يوسعون سلطاتهم ويخططون لاستغلال هذا الأسبوع لتحقيق طموحاتهم الشخصية لكن لا شيء من هذا يعني ميراندا، كانت تحس بخواء المكان وغياب جاسون لم يغير من عملها شيئا . ومع أنها تدرك أن أسابيع يمكن أن تمر وهو في العمل بدون أن تراه، أحست أن لغيبته وحشة وأن شيئا عيوبا ينقصها .

وودت أن تقول لزينا عرضا:

متى سيرجع الرئيس؟ لكنها تعرف أنها لا تجرؤ على ذلك فربما ما زالت تذكر ذلك الاستدعاء الى الطابق الأعلى الداعي للدهشة، والذي لم تتبع ميراندا فصولها محوه . ولو سألتها فربما أجابت، حسب مزاجها، لكن الأرجح أنها ستلتف وتدور حول ميراندا وتسألها عن سر هذا الاهتمام المفاجيء بحركات جاسون.

كانت ميراندا تتساءل دوما عن ربما وعن الاشاعات التي تدور عن علاقاتها برئيس الحسابات . كان رجلا جاف النظرات، صوته ناعم ان لم تلتفت تماما اليه وتركز فلن تفهم شيئا مما يقوله . كان كبيراً في السن، أكبر من ربما التي تخفي عمرها بحذر . كانت امرأة طويلة متوهجة، لها عينان سوداوان غجريتان وفم واسع . وكانت تلبس ثيابا

عثيرة تحسدها عليها الفنيات رغم أنهن يتعامرن عليها من وراء ظهرها . وكان رئيسها هذا متزوجا، وزوجته تتردد كثير، على الشركة لتصحبه الى المنزل.

وفي منتصف الأسبوع لم يكن لدى ميراندا وقت تفكر فيه في جاسون، ناهيك عن مداورات المكتب . وفي هذا الوقت استشر وباء الانفلونزا بين العاملين وكانت ربما هي أول من أصيب، وعند وقت الغداء أرسلت هي وعدد آخر الى منازلهم . وفي يوم الاربعاء كان عدد المكاتب الخالية أكثر من المشغولة، وفي نهاية الاسبوع كان عدد قليل فقط لم يصب لكن الناجين لم يحمدوا الله لأنهم اعتقدوا أن المرض كان سيعفيهم من العمل وبدأت الشركة في توزيع أعمال الغائبين . وتطوعت ميراندا وسوزان للبقاء في العمل بعد مواعيده في ليلة الجمعة . لكن في الساعة الثامنة من ذلك اليوم اشتكت سوزان أنها تشعر بالمرض، وعرض راي ديسون، وهو شاب طيف التحق منذ أسابيع قليلة أن يوصلها للمنزل واعترضت سوزان لأن ذلك معناه ترك ميراندا وحيدة في القسم، وعندئذ عرض راي أن يوصل ميراندا هي الأخرى . لكن هذه رفضت لأنها تدرك أن راي يستلطف سوزان وربما كانت هذه هي الفرصة التي ينتظرها لاقامة صداقة معها، وقالت له عندما عرض عليها أن يرجع ليأخذها:

"كلا، اهتم بسوزان فقط، سأكتب هذه الرسائل ثم أضعها في صندوق البريد وبعد ذلك أرحل."

وعملت لفترة طويلة لوحدها بعد أن رحلا، وما أن فرغت من آخر رسالة حتى تمددت في ارتياح.

ونظرت الى الساعة فوجدت أنها التاسعة . فأخذت معطفها وتم تهتم باصلاح زينتها وحملت الرسائل معها . كانت معظم الطوابق غارقة في الظلمة فيما عدا أضواء قليلة هنا وهناك . وكان العاملون في التنظيف قد مضوا منذ مدة والحارس الليلي يقف عند مدخل المصعد، يتحدث الى رجل رمادي الشعر

www.rewayti.net

تعرفه ميراندا بالشكل، وكان الكلب هناك، جالسا في هدوء وترقب... وحيث ميراندا الرجلين، وأحست أن الكلب يتبعها بعينيه وأنه يعرفها منذ تلك الليلة.

وأسرعت الى الشارع حيث يوجد في ركن منه صندوق البريد... عليها أن تذهب غدا لشراء حذاء جديد وأشياء أخرى، وفي اليوم التالي يوم الأحد ستذهب لرؤية سوران .. كان صندوق البريد مملوءا تماما، فقد سبقتها اليه الأقسام الأخرى واستطاعت ميراندا أن تختار بعضا من رسائلها، دون الرسائل الكبيرة وكان من الافضل أن تذهب الى مكتب البريد لكنه مغلق الآن، فحاولت من جديد، ووقعت منها بعض الرسائل فالتقطتها وبدأت في وضعها في الصندوق وأثناء ذلك لمحتها أنوار ساطعة أعشت بصرها وسمعت صوت هوامل واحتكاك اطارات سيارة بالارض، وصوتا يقول لها

"هل انتهيت؟"

وتلفتت فرأت السيارة المرسيدس تقف بجوار الرصيف وجاسون ينظر من نافذتها، وأحدثه المفاجأة على غرة ولم تستطع أن تفعل شيئا سوى أن تومئ، وأن تقول في فرح

"لم أعرف أنك عدت."

"ألم تكوني تعرفين، لابد أنك افتقدتني؟"

وسابها الارتباك، وخفضت بصرها، فقال لها

"اطلعي، سأوصلك للبيت."

وفتح لها الباب، وأخذت تحدق فيه وقالت

"شكرا لك، ولكن..."

وجعلها خجلها تقف حيث هي، في حين كان ارهاقها يدفعها لقبول هذه الفرصة، وقال لها

"لا تجادلي، كان يوما مرهقا كالجحيم."

وركبت في صمت، وانطلق بالسيارة دون أن ينطق بكلمة، لم يكن يبدو عليه أي شك حول الاتجاه الذي يسير فيه، وعندما غامرت بارشاده رد ببرود

"أعرف وبلو غروف."

"أنا آسفة، ان هذا سيبعدك كثيرا عن طريقك."

"أنت لا تعرفين طريقي."

وعاد الى الصمت من جديد، ولم تغامر بالحديث، وعندما دخلت السيارة الى الطريق الطويل الذي تحف به الأشجار سألها جاسون.

"أي منعطف؟"

قالت ميراندا وهي تنظر أمامها:

"الثاني الى اليمين، المنزل الرابع."

ودار الى اليمين ووقف سهومة ويسر أمام الباب الرابع، وقبل أن تأخذ حقيبتها وتستعد للنزول أوقف المحرك وأطفأ نور السيارة الداخلي الذي يضيء وجهها وقال لها بهدوء

"ما بالك؟"

"لا شيء، شكرا لك على..."

فوضع يده على ذراعها وهو يقول:

"قلت لك ياميراندا، انه كان يوما مرهقا كالجحيم، الا تذكرين، لا تجادلي."

"ليس لدي أي نية في الجدل، ولم أطلب البيت توصيلي."

فأغلق عينيه في نفاذ صبر وتنهد وقال:

"الا تعرفين أن هذه الاعتراضات المهذبة هي أكثر أنواع الجدل حماقة واثارة للاعصاب؟ حسنا، أنت تريدين أن تكوني مهذبة وأنا أريد فحسب أن يغمر السيارة ظلام هادئ، لأنزع من رأسي تلك الأصوات المزعجة التي تبعثها الطائرة المقاتلة."

"أنا آسفة، لم أقصد أن أكون فظا."

"أوه، لكني لم أكن أعرف أقصد، لم أفهم. هل جئت من المطار توا."

"لواقع أمسي وصلت منذ ساعتين."

وتأملته في صمت لبرهة، ورأت علامات الارهاق حول عينيه وفمه، وأحست بتعاطف طاغ معه، وودت لو تزيل

www.rewayti.net

الارهاق البادي على وجهه، وقالت دون تفكير:
"لو كنت عرفت ذلك لما أتعبتك بتوصيلي، هل تريد بعض القهوة."
"هنا."
"نعم، ان اعدادها سيستغرق دقيقة فحسب."
وكان القلق واللهفة باديين في عينيها، وابتسم جاسون فجأة وهو يقول:
"فعلا أود الحصول على بعض منها."
"حسنا، هيا."
وابتسمت له وهي تأخذ حقيبتها وتسرع بفتح باب السيارة. وحمدت الله أن جان زميلتها في الشقة لم تصل بعد، كان الطابق الأرضي مظلما، لابد أن السيدة سوندرز في الخارج، وسارعت بفتح الباب وأضاءت النور وقالت له:
"تسكني في الطابق الاول."
ورأت نظراته تجوب المدخل بطلائه الأبيض وستائره الوردية والعائدة المصنوعة من خشب الورد التي تحتفظ بها السيدة سوندرز لامعة كالمرآة دائما. لكنه لم يعلق وتبعها الى الشقة التي بدت نظيفة ومنسقة تماما. وبدت الغرفة التي دخلها أصغر عندما وقف في وسطها وأوقدت النار وقالت له في حياء:
"اجلس لو تكرمت ياسيد ستيل، سأعد القهوة فورا. هل تود شيئا تأكله؟ ساندويشا او خبزا مقددا عليه شيء ما. أستطيع أن أعد لك عجة، فأنا غالبا أعد شيئا من هذا القبيل لنفسي، عندما أقضي وقتي داخل المنزل."
"لا تتعبي نفسك من أجلي باعداد شيء خاص، تكفي القهوة أو أي شيء موجود لديك."
وذهبت الى المطبخ الصغير حيث وقفت برهة ثم انطلقت الى العمل الذي استغرق بلا شك مدة تزيد على الدقيقة لكن الصينية التي أعدتها بدت جذابة للغاية. كانت

فيها ساندويشات من اللحم وحلقات البندورة، وشرائح الخيار والبيض والبقدونس، ماذا لو لم يكن يحب الخيار؟ كان من الافضل أن تترك واحدا بلا خيار، ومن حسن الحظ أنها اشترت ذلك الجبن الفاخر. وترددت بشأن كعكة الكرز من الافضل ألا تقدمها، فهي لديها منذ عطلة نهاية الاسبوع الماضي. هي أية حال فالرجال لا يأبهون بالحلوى ووضعت اناء القهوة على الصينية وحملتها الى حيث يجلس في غرفة الجلوس وعندما رآها قال لها
"يا للسماء هل هذه حفلة؟ من سيأكل كل هذا."
"هل تريد القهوة بالحليب؟"
"كلا بدون حليب لو سمحت."
ورغم أنه منذ بضع دقائق قال أنه يريد القهوة فحسب، فقد أكل ثلاثة ساندويشات وعدة قطع من الجبن ولم تبد عليه رغبة في الحديث، وجلست ميرندا صامتة ترشف قهوتها في هدوء. لكنه ما لبث أن قال بجفاء
"أعتقد أنه لا توجد قواعد هنا تتعلق باستضافة الأصدقاء من الرجال."
"لا أعرف، فتلك أول مرة، لكنك رئيسي."
"هل هناك فارق؟"
فأومأت برأسها وخفضت بصرها. كانت تحس أنها تحلم بوجود جاسون جالسا معها يشاركها وجبة أعدت على عجل، بعد أن انتهى قال لها:
"قد استمتعت بهذا، أعاد الي الحياة."
"... مسرورة."
وحملت الصينية والأطباق الى المطبخ، وهي تنوي العودة اليه سريعا لكنها وقفت تحدق في الأطباق. كم غريبة هي الطريقة التي تحدث بها. أشياء لا تخطر ببال الانسان. انها لم تكن تحلم حتى بهذا. انها لم تتوقف لتسوي شعرها او تصلح زينتها قبل أن تترك مكتبها، وودت لو أنها

www.rewayti.net

كانت تلبس ثياباً أفضل من تلك التي كانت ترتديها. وتنهدت ونظرت لنفسها في مرآة صغيرة في المطبخ. من المشكوك فيه أن يكون جاسون لاحظ أو راق له أن يلاحظ مظهرها، اذ كان يبدو مرهقاً للغاية وتنهدت ثانية وعادت اليه.

كان الصمت غريباً وعندما وصلت الى المدفأة أدركت السبب، فقد بلغ الاعياء بجاسون حداً جعله يروح في سبات عميق. ونظرت اليه برهة متوقعة أن يفتح عينيه، لكنه لم يفعل وعضت على شفتيها لتمنع كلمات كادت أن تنطق بها حتى لا توقظه. وجلست في كرسي آخر وكان من المستحيل ألا تتفحصه وهي لا تخشى الآن والنوم يلفه مواجهة نظراته الدخانية الرمادية او الطريقة الساخرة التي يلوي بها فمه قبل أن ينطق بتعليقاته اللاذعة. وأخذت تحدق في قسماته المحددة الواضحة التي تجذب اليها الناس جميعاً بسهولة وهي تأمرهم - أو تخضعهم. انها قسمات تدل على قوة الارادة والسيطرة، وتتسم بمغناطيسية خاصة لا يتردد في استخدامها لتحقيق أغراضه لكنه وهو نائم يبدو أصغر سناً، وأكثر شباباً. وابتسمت لنفسها وقامت الى رف الكتب الموجود خلف مقعدها لتأخذ كتاباً تقرأ فيه لفترة تتركه خلالها يستريح، وبعد ذلك ستسير على أطراف أصابعها لتغسل الأطباق. وعندئذ ستوقظه أصوات الأطباق ولن يحس بالوقت الذي انقضى. وفتحت الكتاب وبدأت تقرأ. لكن الأمور لم تسر حسب الخطة. اذ وجدت أنه من المستحيل أن تصرف نظرها عنه وأن تركز على الكتاب، زد على ذلك أن الاضاءة لم تكن كافية لتيسير القراءة. وأخيراً وضعت الكتاب جانباً وتركت لأفكارها حرية التنقل. أين يعيش؟ انه ليس متزوجاً... من يعنى به؟ هل لديه منزل كبير وعدد كبير من الخدم او يعيش في واحد من تلك الأجنحة الفاخرة حيث يكفي أن يضغط الجرس ليقدم اليه كل ما يحتاجه، هل القصص التي تروى عنه حقيقية؟ هل هو زير نساء؟ ما هي الحقيقة حول ما يقال أنه يبدأ في قطع

علاقاته بالفتيات فور أن يبدأن في التطلع الى الارتباط بهن؟ لكنهن يلاحقنه كما قالت رينا واذا لم يكن لديهن احساس كاف ليتعلمن القواعد التي يسير عليها، فلا يلمن الا انفسهن اذا أصابهن منه أذى، ولكن أي قواعد تلك؟ لا شك أن العلاقة الأخيرة كانت كاملة واستمرت طويلاً... علاقة حب لا نزوة للتنقل من فتاة لأخرى يعقبها انتظار قلب واحتراق عاطفة.

نامت ميراندا مع تعاقب هذه الأفكار وغيرها دون أن تدري، سقط رأسها ومال على المسند، في الوضع الذي نام به ستيل على الجانب الآخر من المدفأة، لم تسمع صوت الباب في الطابق الارضي وهو يغلق، فجدران المنزل ضخمة وسميكة تمتص الأصوات، كما لم تسمع صوت سقوط المطر على النافذة ولا الريح العاصفة وهي تضرب الأشجار. وانزلق الكتاب ووقع على قدميها فأيقظها. واعتدلت في جلستها غير مصدقة وعندئذ رأت جاسون ينظر اليها، ويتحرك وهو يقول.

"لماذا لم توقظيني؟ يا اله السماوات، انظري الى الوقت يا فتاتي."

"أنا آسفة. لم أدرك... طوبى النوم أنا ايضاً..."

"نعم، بالتأكيد. ان كرم ضيافتك يبعث السرور البالغ، لكن هل تتركين ضيوفك دوماً ينامون؟"

"كلا، لكنك كنت مرهقاً للغاية. ولم يطاوعني قلبي أن أوقظك."

"كان هذا كرماً منك يا آنسة ميك، وأنا أقدره لك، لكني أخشى أن أسبب لك مضايقات، خاصة بعد يوم العمل المرهق."

"لا يهم، فغداً السبت وأستطيع أن أنام حتى وقت متأخر اذا رغبت."

وبدا كأنه يود أن يقول شيئاً، ثم غير رأيه. وأومأ لها واتجه الى الباب وأخذ مفاتيح السيارة من جيبه. وأسرعت وراءه وهي تقول.

www.rewayti.net

"من الافضل أن آتي معك، حتى أغلق الباب خلفك."

فتوقف وأفسح لها الطريق لتتقدمه. وسارت في صمت محاولة الحفاظ على الهدوء وهي تفتح الباب الزجاجي الردهة الخارجية. كانت السيدة سودرز تهتم كثيرا بمسائل الأمن، ومن ثم وضعت بجوار القفل العادي رتاجين كبيرين. سحبت ميراندا الأسفل منهما لكن الأعلى كان متيبسا وأعلى من أن تصل اليه بسهولة. فتقدم جاسون لفتحه وأحدث الرتاج صريرا عنيفا وعندئذ قال جاسون وهو يهمس:

"ألم تسمع صاحبة المنزل عن ريوت التزليق التي تمنع هذه الاصوات؟"

وأحست ميراندا بالرغبة في أن تقهقه وبالفعل أفلتت منها ضحكة والباب يفتح وابتسم جاسون بدوره، لكن بابا انصفق من خلفهما مما جعل ميراندا تتجمد في مكانها، وجاءهما صوت حاد من أعلى

"من هناك؟"

ونظرت ميراندا الى أعلى بعينين مذعورتين، فرأت السيدة سودرز وهي ممسكة شمعدانا وترتدي عباءة. وتمتم جاسون قائلا:

"ها قد وصلنا."

وردت ميراندا مضطربة

"ان كل شيء على مايرام ياسيدة سودرز اسمي ميراندا."

"أنت... لكن كيف دخلت، لقد أغلقت الباب من الداخل بنفسي و..."

"كلا.. معذرة... ذلك هو السيد ستيل، انه خارج... أسفة اذ أزعجتك، لكننا..."

"خارج.. هل تعنين أنكما لستما قادمين؟ هل تعنين أنك أنت وهذا الرجل كنتما... كنتما تتسللان في هذا الوقت من الصباح؟ كيف تجرؤين؟ لقد رأيت السيارة الغريبة عندما جئت، لكني لم أكن أبدا..."

فقاطعتها ميراندا بعد أن أدركت ما ستقوله وهي تصيح:

"كلا، انتظري! أصغي، ان كل شيء على مايرام ياسيدة سودرز أستطيع أن أشرح لك الموقف. ان السيد ستيل هو رئيسي في شركة كاروما ستيل. لقد أوصلني الى المنزل، وكان قد عاد توأمن..."

"انه لا أبالي بمن هو، ولا من أين جاء ان وضعه بالنسبة اليك لا يهمني في شيء، وكذلك وضعك بالنسبة اليه، لكني أفضل أن يتم هذا خارج منزلي، ولا تحاولي أن تقولي لي انه كان لديكما عمل في هذه الساعة من الليل، لقد حذروني من المخاطرة بادخال غرباء في منزلي ولم أصدق، لقد صدمت فيك يا آنسة ميك، اعتقدت أنك فتاة لطيفة هادئة بعد الرواية التي حكيتها لي عن المكان الذي كنت تعيشين فيه، والطريقة التي نشأتك بها عمتك. أنا أشعر بالأسف من أجلك، لن أخدع ثانية، هذا مؤكد، ولن أنتظر حدوث هذا مرة ثانية. هل سيدخل الرجال ويخرجون من منزلي طوال ساعات الليل؟"

فهتفت ميراندا في ذعر:

"ياسيدة سودرز أنت مخطئة تماما، أستطيع أن أشرح لك الأمر فقط اذا أنت..."

"لا أعتقد أن هذا ضروري. فكما قلت لك، ليس هذا من شأني. لكني سأطلب منك الرحيل، فأنا أخشى على جان ومن الخير أن ترتبي أمورك بأسرع ما تستطيعين."

وأخذت ميراندا تلهث، وغاص الدم في وجنتيها، وتقلصت معدتها من الألم المخوف. شقتها... شقتها الصغيرة اللطيفة. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيا. عليها أن تجعل السيدة سودرز تصغي اليها وأن تفهم. وتأهبت للتكلم، وأحست بيد جاسون تقبض على ذراعها وهو يقول بهدوء:

"لحظة فقط ياسيدة سودرز."

والتفتت اليه المرأة الغاضبة وهي كارهة فأضاف:

www.rewayti.net

"ان تهمك ليست كريهة فحسب، بل وظالمة أيضا وليس لها أساس من الصحة. وفي أية حال، أؤكد لك أني سأسمن لك رحيل الآنسة ميك فلن أسمح لها بالبقاء بعد هذا."

قالت السيدة سوندرز وهي تحدق فيه:

"هاد؟"

وتأوهت ميرانداً وهي تنظر اليه في يأس لتدخله غير المتوقع وسيئ ما كانت ستقوله، لو أحست بذراعه تلتف حول كتفيها وهو يشدها الى جانبه، ثم ما لبثت أن صعقت اذ سمعته يقول

"الآنسة ميك ستتزوجني. واذا كان لديك شيء آخر تقوليه فعليك توجيهه الي أنا."

كانت هناك لحظة من الصمت المشدوه، واعتقدت ميراندا أنها تخيلت كل هذا، وأنها تحلم، ونظرت اليه علها تجد تأكيداً، لكن ذراع جاسون الصلبة حول كتفها لم تكن حلماً، ولا أمرا صارما أصدره اليها

"لا تجادلي يا ميراندا ولا تقنقني."

"لكن... لكن... أنا..."

"سأراك غدا، وسنتحدث عن ذلك هيكل."

وتحت نظرات السيدة سوندرز المشدوهة، رفع دقن ميراندا الى أعلى وعندئذ دعمها برفق وهو يومىء لها في اتجاه السلالم قائلا:

"حان الوقت لتناعي قليلا، هيا يا ميراندا."

ولم تستطع أن تحول بصرها عن وجهه، وشت بظهرها الى السلم وهي تشبه من يمشي أثناء النوم.

وسبى كلاهما وجود السيدة سوندرز.

٤ – عشاء بلا شموع

عندما تسللت أشعة شمس اليوم التالي من خلال فتحة الستارة، دفعت ميراندا عنها الغطية بعيدا، وجلست تفكر، ثم قررت أنها لابد كانت تحلم.

كانت الغرفة تبدو طبيعية تماماً، والساعة الموجودة على جوار السرير منتظمة وغير متعجلة في دقاتها، وشعرت بالاحساس المديد لعدم الاستعجال الذي يميز ايام العطلة.

اعتدلت على حافة سريرها ثم امرلت قدميها وبحثت بهما عن خفها وبدأت تقيم في ضوء النهار البارد الأحداث التي لم تكن حلماً. هل ظلت مستيقظة معظم الليل، متسائلة عما دفع جاسون الى الادلاء بهذا البيان البالغ الغرابة الذي سمعته منه؟ وحدد عقلها عددا من الأسباب لذلك، بعضها منافٍ للعقل.

سمعت مرة عن رجل تزوج فتاة لا يكاد يعرفها لأنه كان عليه أن يتزوج ليصبح له الحق في ميراث ما، لكن جاسون لا يبدو في حاجة الى مثل هذا الاجراء. وسبحث في أفكار أخرى خيالية لكن لها طابعاً شخصياً رقيقاً مغرماً في الرقة حتى أنها وبخت نفسها على مثل هذا التفكير – فكيف تتخيل أن جاسون من الطراز الذي يكتشف فجأة أنه ونهاى بفتاة لا يكاد يعرفها، وهي فتاة يمكن أن يصفها، لو التزمنا المجاملة بأنها خجولة، تخفي مشاعرها ولا تظهرها، وأنها عضو غير هام في

www.rewayti.net

ادارة الحسابات؟ كلا، هناك سبب واحد يصمد للدراسة المنطقية المطولة وهو أن جاسون صاحب دعابة من طراز فريد ولا يمكن التكهن بالظروف التي يطلق فيها دعابته.

حقاً، لقد كانت الغلطة غلطتها. وكان عليها أن تعترف بذلك لنفسها لو لم يكن قلبها ضعيفاً لهذا الحد -- وجاسون عنيف أولا وقبل كل شيء ومرن في الوقت نفسه، ولو لم يكن كذلك لما كانت له تلك السلطة في عالم الأعمال وتنهدت. ورغم كل هذا فللمحادثة ذكريات جميلة، وهي لا تستطيع أن تنسى قسمات وجهه وهو نائم، كان غنياً وجذاباً، على نحو غريب حتى أنها أرادت أن تلمس صدغيه بخطوطهما الفضية.

وانصرفت عن النافذة بقوة، وارتدت ثياب المنزل، كانت مثاراً للسخرية ربما كان يهزأ مما حدث الآن. لابد أنه يتوقع منها أن تشاركه هذه النكتة.. نكتة كبيرة انهت مشاكسة السيدة لعجوز صاحبة المنزل وأخذت تفكر وهي ماضية الى الحمام أن المشكلة الحقيقية هي اضطرارها لترك الشقة. اذا نحينا جانب كل اللغو الذي قاله عن أنه لن يسمح لها بالبقاء، فانها لن تستطيع أن تعترف بالحقيقة عندما تحين لحظة شرح الموقف وحتى اذا لانت السيدة سوندرز وقالت لها أنها تستطيع البقاء، فان ميراندا لن تستطيع مواجهتها والاعتراف بأن كلام جاسون كان مجرد طريقة سريعة ومناسبة للتخلص من المأزق.

"ميراندا؟"

انتفضت واقفة كرد فعل لهذا الاستدعاء وفتحت الباب قليلا لترى السيدة سوندرز التي قالت لها

"تصورت أنك لابد أن تكوني هنا. هناك مخابرة لك في الدور السفلي هل ستنزلين، أم أني؟" أعتقد أنه خطيبك. لكنه لم يذكر اسمه، طلبك فحسب."

"شاني."

واندفعت ميراندا الى الطابق السفلي متجاوزة السيدة سوندرز، وهي تحيط نفسها بمنشفتها الكبيرة، كانت

تطير وهي نازلة على السلالم، وقلبها يخفق بشدة وأنفاسها متقطعة وهي تهمس في الهاتف.

"نعم، أنا ميراندا ميك."

قال جاسون بصوت لا ينم عن شيء مما حدث في اليوم السابق.

"صباح الخير، هل حدثت مشاكل بعد رحيلي الليلة الفائتة؟"

"كلا."

"حسنا، والآن اسمعي ياميراندا. أنا في عجلة من أمري اليوم. لقد ألغى الرئيس ارتباطاته هذا الصباح وذلك حتى ألتقي به، ومن ثم فلن أستطيع الاعتذار عن عدم مقابلته. وسينضم والي امبرور الينا في الغداء، الأمر الذي يعني جلسة عمل ممتدة. أشك أني سأفرغ قبل الثالثة. ربما بعد ذلك، ما الذي ستفعلينه اليوم؟"

"حالياً، التف بالمنشفة..."

"ماذا؟"

وقبل أن تستطيع الرد ضحك برقة وقال

"هل أخرجتك من الحمام؟ خطر ببالي أنني ربما أخرجك من السرير، لا تقلقي، لن أحتجزك طويلا. سأمر عليك في السابعة... هل يناسبك؟"

وأومأت برأسها ثم أدركت أنه لا يراها فغمغمت بما يفيد الموافقة فقال لها.

"حسنا، الى اللقاء."

وضعت هي السماعة بدورها والتفتت لترى السيدة سوندرز تدور في الردهة مقبلة نحوها وهي تقول.

"لم أكن أعرف أنك مخطوبة له. لو عرفت لما تسرعت. لكني ارتعبت عندما سمعتكما، في هذا الوقت المتأخر..."

"نعم أنا أدرك ذلك."

"أنا آسفة اذ كنت فظة، وأنت بالطبع تعرفين أنه ليس عليك أن ترحلي حتى... أعتقد أنكما تعدان المنزل حالياً."

وابتسمت السيدة سوندرز، وغمغمت ميراندا بشيء

www.rewayti.net

غير واضح فقالت لها السيدة سوندرز:
"اذهبي قبل أن تصابي بالبرد وأنت تقفين في هذه الردهة التي تموج بتيارات الهواء."

وانتهزت ميراندا هذه الفرصة وهرولت وهي ممتنة، فقد كانت تتوقع كل أنواع الأسئلة الودودة: ما نوع الخاتم الذي قدمه لك؟ ما نوع حفل الزفاف الذي ستقيمانه؟ متى؟ واين؟. ناهيك عن نصائح الصداقة. وانتابت ميراندا حالة اكتئاب عندما بلغت غرفتها، ليتها ما نطقت بتلك الدعوة في الليلة الماضية، فقد أرهقها التفكير في التفسيرات المربكة التي عليها أن تقدمها ان عاجلا أو آجلا.

وترددت طويلا في اختيار ثوب السهرة وفي السابعة تماما سمعت طرقات على الباب. لم يعد هناك وقت لتغيير الثوب الأرجواني المصنوع من القطن. وأسرعت بفتح الباب، وتبدد قلقها وهي ترى نظرته الدافئة التي تجعل المرأة تحس أنها جميلة. ومنحته ابتسامة عذبة تتضمن دعوة غير متعمدة وقالت بحياء:
"سأحضر شالي."

كان قلبها يخفق بقوة وهي تنزل السلالم وتصعد في السيارة التي انطلقت بها بعيدا. وفكرت بينها وبين نفسها أنه من الحمق أن تشعر بكل هذه الاستثارة، بل ومن الحمق أن تضطرب كل هذا الاضطراب لأنه يخرج معها لمجرد أن يضحكا على ذلك التفسير الغبي الذي قدم ليلة الفائتة. والتفتت اليه فجأة وهي مستعدة لأن تفضي اليه بكل أفكارها لكنه سبقها بقوله
"أحس أني مهمل. أنك تبدين جذابة للغاية على نحو كان يحتم علي أن أحجز مائدة في مكان ما حيث تكونين متعة للناظرين."

وأفقدتها تلك المجاملة توازنها وجعلت شفتيها تنفرجان سرورا. ولكن روح التشكك عاودتها من جديد وتساءلت هل سيأخذها ثانية الى ملهى الروتوندا الذي أخذها اليه من

قبل حيث يحيل تأثير الضوء أي ثوب عادي الى ثوب غير عادي ويحيل غير العادي الى شيء فوق العادي، وقالت
"ان الروتوندا مظلم وداخن قليلا."
"كلا، لن أخذك اليه."

وفتح راديو السيارة، وغرق في الصمت، فلم يفصح عن خططه لقضاء الليلة لكنها لم تهتم، وقنعت بالاسترخاء في السيارة الفاخرة ومراقبة اضواء المدينة. ولم يمض وقت طويل ودلف بالسيارة الى شارع سكني هادئ، وتصورت أنهما في بايرن سكوير، ثم تناست الأمر والسيارة تقف أمام منزل مرتفع من طراز عصر الملك جورج له ست درجات تفضي الى بابه.

ونزل جاسون من السيارة ودار حولها ليفتح لها الباب، وأمسك بيدها ليساعدها على النزول، وقال ببساطة
"فكرت أن نتعشى في البيت الليلة، حتى تكون لدينا الفرصة للاسترخاء والحديث بحرية."

وجفلت ... بيته! ونظرت الى أعلى الى واجهة المنزل الداكنة، غير مستقرة على ما يتعين عليها أن تقول في هذا الموقف وغير متأكدة من تلك النوافذ الغامضة ذات الستائر الغامقة التي لا تعطي أي فكرة عما يقع خلفها هذا هو منزل جاسون ستيل.

وقبل أن تقرر شيئا، انفتح الباب ورأت امرأة تقف وخلفها ضوء كهرماني، كان وجهها هادئا يبعث على السرور، وأحست ميراندا بالارتياح وهي تسمع السيدة تقول:
"مساء الخير ياسيد ستيل."
قال لها جاسون وهو يرفع شال ميراندا عن كتفيها
"بعد حوالي عشر دقائق ياليبي."
وأومأت ليبي وهي تأخذ الشال منه.

وفتح جاسون بابا الى يسار ردهة طويلة وأشار الى ميراندا أن تدخل ودخلت فوجدت نفسها في غرفة دافئة فيها رفوف كثيرة مليئة بالكتب، وسجاد تركي أزرق وكراسي جلد ذات

www.rewayti.net

مساند ومكتب قرب نافذة طويلة عليه صينية فضية وأقداح كريستال وإناء مليء بالفاكهة، لم يكن طراز الغرفة كما تخيلته ولا ما توقعت أن تجده لديه. ولو ترك لها تحديد الصورة بناء على فكرتها عن شخصيته لتوقعت شيئا شبيها بغرفة مكتبه في الشركة. كانت هناك صورة مرسومة بالزيت وفي اطار سميك فوق المدفأة صورة رجل قوي الملامح، يشبه جاسون تماماً رغم الياقة العالية لبدلته التي تنتمي الى طراز عصر الملك ادوارد. ولما رأى جاسون اتجاه عينيها قال لها

"انه جدي، لم يشأ والدي أن يضع صورته في غرفة مجلس الادارة، اذ كان طاغية."

بقيت واقفة قرب المدفأة تحتسي الشراب الذي قدمه لها، وبدأ التوتر ينتابها وطرأت على ذهنها فجأة فكرة... بل اعتقاد بأنها حمقاء.

وغاص قلبها. اذ أفرطت في اعتبار أمور كثيرة أشياء مسلماً بها. ربما كانت نيته هي أن يصطحبها لتناول بعض الشراب فحسب لمدة نصف ساعة تقريبا، أو ما يكفي للتنصل من ذلك الالتزام المليء باللغو... واستيقظت من أفكارها على قوله:

"ما لك تبدين كأنك اكتشفت حقيقة مؤلمة."

"ربما حدث هذا فعلا."

"لو كان الشراب لا يعجبك فسأحضر لك غيره."

"كلا انه لذيذ."

"كنت تفضلين لو أني لم أدل بهذا التصريح المتعجل نوعاً ما في الليلة الفائتة، أليس كذلك؟ وأنت تخشين الاعتراف بهذا."

من المشكوك فيه أن سؤالا آخر أيا كان يمكن أن يسبب لها ذلك القدر من الارتباك الذي سببه هذا السؤال. وبذلت مجهودا لتبدو هادئة واعتقدت أنها نجحت عندما تحركت الى الأمام وادعت أنها تتأمل تمثالا صغيرا من العاج.

وخلال تناول الطعام، أبقى جاسون الحديث في

[illegible] موضوعات غير شخصية وقامت ليبي بالخدمة بمهارة [illegible] اعجاب ميراندا. وتساءلت عن عدد العاملين في [illegible]، أم أن ليبي هي الوحيدة. وواتاها انطباع بأن جاسون [illegible] يفضل وجود عدد كبير من الناس في منزله عندما يكون [illegible] وهو وقت قصير، فهو في معظم أيامه على سفر.

وحينما جاء وقت تناول الحلوى اكتشفت أن جاسون مغرم [illegible] وأنه يجمع تحفا شرقية، خاصة من حجر اليشم والعاج، [illegible] ذوقا رفيعا في الموسيقى وان كان لا يعتبر نفسه خبيراً [illegible] ودار الحديث بينهما في موضوعات شتى أخبرها خلالها [illegible] عضو في مجلس ادارة ملجأ للايتام في ميدلاندر واختتم [illegible] قائلا

"[illegible] فضلك لا تقولي يا للصغار المساكين."

"[illegible] يكن في نيتي أن أقول ذلك. هل هذا الملجأ في المدينة [illegible] في الريف؟"

"[illegible] يبعد نحو خمسة أميال من ميلبرو في قصر قديم لأحد [illegible] المالكين. وهناك عدد من الأولاد يعيشون في المزرعة."

"[illegible] سردد على المكان كثيرا؟"

"[illegible] لو عندي وقت أطول لذلك، لكن هذا مستحيل."

"[illegible] لم تسنح الفرصة للتعرف على الأطفال؟"

[illegible] قدح شرابه بقسوة وهو يقول:

"[illegible] لدي وقت للنظر الى الأطفال نظرة عاطفية، اذ كان [illegible] تقصدينه، ان الوقت الذي أكرسه لهم أخصصه لأمور [illegible] بالناحية الدنيوية أكثر من غيرها فهي تتعلق بالجانب [illegible] الملجأ."

[illegible] هي بمنديل المائدة بعنف فخرجت بانطباع أنه يأسف [illegible] الموضوع، ثم قال:

"[illegible] ستقدم القهوة في غرفة الجلوس... هلا ذهبنا هناك؟"

[illegible] بدون أن تنطق بكلمة، ان قوله الواضح هذا حدد [illegible] في العواطف، مما جعلها تصبح أكثر صلابة في مواجهة [illegible]. وقررت وهو يريها باقي الغرف أن تبقى بعيدا

www.rewayti.net

عن طريقه مستقبلا. ان ذلك صعب، فطريقه يلتقي بكل طرقها، ربما تضافرت الظروف مرة أخرى لتخلق موقفا يشبه حضورها هنا الليلة. تبينت كل أخطار الاقتراب منه. انه من الحمق أن تدع نفسها تسقط في حب جاسون ستيل من دون الرجال جميعا.

لقد تأخر قرارها لكن ذلك لا يهم، واتخذت مظهرا دفاعيا ورفعت رأسها متباهية وهي تدخل الباب الذي أشار اليه، وسارت في الغرفة الواسعة التي تمتد بطول الطابق الأرضي، وراقت لها هذه الغرفة ووقعت من نفسها موقعا حسنا. كانت الجدران بيضاء والأثاث بلون بني وعنبري، والسجاد بلون العسل يمتد من الحائط للحائط، انها من طراز الغرف التي تثير احساسا بالدفء والترحيب والراحة. وذاب قرار ميراندا وهي تغوص في أحد الكراسي ذات المساند. وجاءت ليبي بصينية القهوة، وابتسمت لميراندا، ووضعتها على مائدة منخفضة، ثم خرجت. وأشار جاسون الى الصينية وهو يقول لميراندا:

"هيا، تلك مهمة يقوم بها ضيوفي من النساء دوما. وأنا أفضل القهوة بلا حليب او سكر."

"أذكر هذا."

وتقدمت الى الصينية، لكنها كانت ما تزال تتأمل التحف في الغرفة الفاخرة، فقال لها وهو يتابع نظراتها

"القهوة أولا، إن تأثير هذه الغرفة لا يخيب أبدا."

"هل تعني أن الجميع يعجبون بما فيها خاصة ذلك المعبد الشرقي الطراز."

"انها احدى شراكي. ولدي شراك أخرى كثيرة وضعتها في أماكن استراتيجية من الغرفة."

"حقا. هل تحتاج الى شراك ياسيد ستيل؟"

"من منا لا يحتاج اليها، على الاقل مرة في حياته."

وأراها عددا من التحف، وفي أثناء ذلك تذكرت سؤالا كانت تود أن تسأله فقالت

"كيف عرفت أني انتقلت من سكني؟"

"نعم. في ذلك الأصيل حين أرسلت تطلبني، لأني لم أخطر السجلات بذلك."

"أوه... أردت الاتصال بك هاتفيا في منزلك القديم، وردت واحدة اسمها الآنسة فاندا وقالت لي أنك لم تعودي تسكنين هناك."

"هل أردت الاتصال لشيء هام؟"

"نسيت الآن. ربما أردت أن أرسل لك فاتورة الفندق تلك."

"لكن ذلك كان بعد أن قدمت لك..."

وتوقفت فجأة وهي ترى ومضة سرور في عينيه وقالت

"تريد مزيدا من القهوة"

فأومأ ومد يده بالفنجان الفارغ، فلم تجد بدا من الذهاب اليه.

وتجنبت النظر في عينيه وهي تأخذ الفنجان، واخفقت فرنجت

"لا تريد القهوة؟"

"كلا..."

"من هل يضايقك أن أشرب قهوتي؟"

فرد بسخرية وهو يطلق سراحها

"أنت ضيفتي..."

وسارت الى مكانها وهي ترتعش وهو يرقبها من تحت عقوبة الناعسة المتكاسلة، وملأت الفنجان وأخذت ترشفه بكل ذلك كل ما يعنيها في الوجود وعندما انتهت قال لها بهدوء:

"من هل أفهم أنك لا تريدين الزواج مني؟"

وباحساس الصدمة أدركت أنها ما تزال ترتعش داخليا، وأن الرغبة التي أثارها فيها في أوائل تلك الليلة لم تخمد بعد. هذا فزعها عجزها وجعلها خجلى وفكرت في أن تواجه ذلك فاتشبثت بقرارها وببرودها فقالت:

"لا أعتقد أننا في حاجة الى المضي في هذه المهزلة. كانت حركة ماهرة وتحققت الخدعة. ومن ثم فلن أحاول الابقاء عليك في الفخ."

www.rewayti.net

"لم أكن أدرك أني في فخ. لقد تعلمت كيف أتجنب الطعم السام منذ وقت طويل مضى، يا صغيرتي."

انهارت قدرتها على التحدي، فحولت بصرها بعيدا وهي تقول.

"لم أقصد ذلك على وجه الدقة. كان الأمر مجرد شيء من تلك الاشياء التي تحدث عندما ..."

لكنها لم تدر كيف تكمل كلامها خوفا من المضي في حماقاتها، وتدخل جاسون قائلا

"لا أعتقد أنك واثقة مما تقصدينه. أعتقد أن قليلا من الموسيقى قد يصلح الأمر. ماذا تحبين؟ توم جوبر او ستراڤنسكي؟"

وأبدت حركة يأس كما يفعل من لا يستطيع أن يقرر وابتسم جاسون بسخرية وهو يمضي الى الجهاز في الركن قرب النافذة، وأداره. وانسابت في الغرفة موسيقى رائعة من أميركا اللاتينية. وسار جاسون بعد ذلك بهدوء الى حيث أضاء المزيد من مصابيح الغرفة مما أكسبها دفئا جديدا ونغمة حميمة. وتوقفت خطواته الناعمة وراء الكرسي حيث تجلس فتصاعدت دقات قلبها حتى طغت على الموسيقى. وقال لها في هدوء.

"ان تلك الموسيقى معروفة بأنها تمهيد للمسرح."

"أدرك ذلك، لكني لم آت هنا للاغواء."

"أنا أدرك هذا تماما."

ودار حولها ونظر في عينيها المجلاوين، كان فمها شاحبين، لكن التصميم كان باديا على وجهها. وقال لها.

"أنا أدرك أيضا أني أوقعت نفسي هذه المرة مع احدى الحوريات. ولذا ..."

واستدار دون أن يكمل جملته، وأخرج سيكارة من صندوق من الأبنوس الاملس، واشعلها ثم استطرد قائلا

"على النقيض من أي شيء يمكن أن تكوني قد سمعته عني فاني لم ألجأ أبدا الى إغواء ضحايا لا يريدن ذلك. ولذلك

أقول لك أن أمسيتنا كانت لطيفة وعندما تشائين اصحبك الى بيتك."

وأخذ يدخن سيكارته باستمتاع وهي مرقبه فظن أنها تريد سيكارة، فقال وهو يقدم الصندوق لها

"أسف أني لم أقدم لك سيكارة، سامحيني."

"كلا، أنا لا أدخن."

"انك فتاة عاقلة. اني أكف عن التدخين كل صباح ثم أعود اليه في المساء."

"ذلك أفضل مما لو كنت تفعل العكس بان تبدأ صباحا وتكف مساء."

"نعم بالتأكيد. ولكني أحتال وأدخن سيكارة عرضا أثناء النهار."

"ان التوقف عن العادات السيئة التي يستمتع بها الانسان، أمر صعب، أليس كذلك؟ وأعتقد أنه قد آن الأوان لكي..."

قالت ذلك وهي تتحرك الى الباب ايذانا برغبتها في الرحيل، فقال لها

"بالطبع."

وسارع باطفاء السيكارة في المنفضة وهو يقول

"سأصحبك الى البيت."

وتوقفت عند الباب في انتظاره فلحق بها وهو يقول.

"هناك شيء آخر، اني أريد حقا أن أتزوجك."

www.rewayti.net

٥ – جاسوس؟

لم تدر كم من الوقت مضى وهي واقفة هناك وطلب الزواج منها الذي أبداه جاسون يتردد صداه في عقلها حتى حطم جاسون نفسه الصمت بأن قال ببرود

"أعتقد أنك تحتاجين الى شراب قبل أن تورطي نفسك."

وبدأت تنتبه للموسيقى التي كانت ما تزال تصدح، وقالت لنفسها لابد أن التسجيل طويل. ورأته يتحرك ليحضر لها شرابا، وعادت الدوامة التي دهمها من جديد. جاسون يريد أن يتزوجني. لكنها لا تكاد تعرفه وهو لا يكاد يعرفها. ومع ذلك طلب هذا. لم يكن ذلك من تخيلها كيف يأتي الحب سريعا على هذا النحو. هل داهمه الحب كما داهمها؟ لابد أنها خلال لحظات من لقائه أدركت أنها وقعت في حبه، وأصبحت تعيش في عالم خاص بها وبجاسون. جاسون! وليس السيد ستيل.

وجاء اليها ووضع قدح الشراب المثلج في يدها. وأحست أن سحره توقف بل حتى لم تكن له تلك السطوة المعتادة ولا ذلك الاغراء الساحر الذي كان يعقبها على الفور معه منذ اللحظات الاولى... وهمست.

"هل أنت جاد؟"

"لأقصى حد."

"لكن كيف تستطيع أن... ما الذي يتعين على أن أقوله؟"

"احدى اجابات ثلاث. وهي الاجابات الثلاث الوحيدة

وهي: نعم، لا، لا أعرف."

وراد كلامه هذا من ارتباكها فقالت.

"لكننا... لا نكاد نعرف بعضنا البعض."

"ذلك أمر يسهل علاجه، ما الذي تريدين أن تعرفيه ياميراندا."

وتنهدت في يأس وهي تحاول الاحتفاظ برباطة جاشها أمام تقته في نفسه التي لا تهتز وهي تقول.

"الأمر ليس بهذه السهولة ياسيد ستيل. فالمقولون لا..."

"لندع التعميمات الغامضة، ودعك الأحمق، ولكن هذه آخر مرة، تعاديني فيها بالسيد ستيل."

"لكنك... لا أستطيع أن أكف عن التفكير فيك باعتبارك السيد ستيل وأنت لا تعرفني، ليس بالدرجة الكافية لكي تتزوجني."

"ان ذلك يجعل الأمر أكثر اثارة ألا تريدين أن تتزوجني؟"

"بالطبع أريد، لكن..."

"ألا تريدين منزلا خاصا بك؟"

وأومأت وهي تنظر لأسفل، فسألها:

"وأطفالا؟"

فردت بصوت خافت:

"لا أتخيل الزواج بدونهم."

"اذا، فستحتاجين الى رجل."

"نعم. لكني أريد الحب وعلاقة دائمة."

"نعم، أواعدك على هذا. ساكون أمينا معك ياميراندا. اعتقد أن الفكرة القديمة الشائعة عن علاقة و حدة دائمة ومثالية بين رجل وامراة مقضي عليها بأن تدخل ان عاجلا او آجلا. لأنه كيف يكرس انسان حياته ومستقبله كليهما لشخص واحد؟ من المستحيل ان نعرف ما سيحدث في الاربع وعشرين ساعة المقبلة ناهيك عن الأربعة وعشرين عاما التالية."

"لكن ذلك هو مقصد، السبب الذي عليها أن تحاول، ألا

www.rewayti.net

تعتقد هذا؟ وبسبب هذا يتعين أن تفعل شيئا يدوم، شيئا تستند اليه اذا انهار كل ما عداه.»

«هكذا نعود الى الأساسيات القديمة، الحب والثقة.»

ومد يده، ورغما عنها تقدمت اليه، وسألها بنعومة

«هل لديك أي سبب خاص يدفعك لعدم الثقة بي؟»

ونظرت اليه لحظة ثم خفضت بصرها ولاحظ مرة رأسها التي لا تكاد تلحظ، وعندئذ وضع يديه على كتفيها، وانتابتها رجفة لمسته فشدد قبضته وهو يقول لها

«أعتقد أنك تحبينني فعلا، لكنك لا تريدين الاعتراف بهذا.»

وألمها هذا الافتراض الذي قاله ببرود، فبعدت عنه وهي تقول:

«كلا، ولن أعترف بذلك، ولن أستطيع أن أتزوجك. ولابد أن تعرف أن هذا لن يجدي، فنحن لا نكاد نعرف أحدنا الآخر. أنا... أنا لا أعرف لماذا تريد ذلك؟»

«لأني أريدك.»

«تريدني؟ هل تقصد أنك تريد فحسب...»

«أقصد أني أريدك، وأنا على استعداد للزواج بك.»

«هكذا فحسب، بدون حب.»

وبان في عينيها النجلاوين التحرر من الوهم على نحو جعل عينيها تبدوان كبيرتين في وجهها الشاحب، وقال لها بهدوء:

«أنس موضوع الزواج حاليا ودعينا نتساءل هل أنت مستعدة لاقامة علاقة معي.»

«كلا.»

«لماذا؟»

فكررت كلامه بسخرية.

«لماذا؟ هكذا هل لديك فكرة كيف يبدو اقتراحك وحشيا؟»

«كلا، أفهم أن تقولي أنه اقتراح متعمد، انما وحشي لا.»

وأحست بالألم يعصف بقلبها، وأن يديها مثلجتان رغم

دفء الغرفة وشبكتهما معا لتوقف ارتعاشهما وهي تقول بعناد

«لا أرى فارقا، لا أريد هذا النوع من العلاقات.»

«هل أنت خائفة؟»

«نعم.»

«مني؟»

«من كل الاشياء التي تخشاها فتاة.»

«لست في حاجة الى الخوف، فسأرعاك، أعدك بذلك.»

وران عليها الصمت الكثيف الذي أعقب ذلك حتى كاد يرهق أنفاسها وأحست أن شفتيها منيبستان وأن دم الحياة غاض منهما، وبذلت كل جهد ليبدو صوتها طبيعيا وهي تقول:

«أنا واثقة أنك مخلص تماما، لكن ألا ترى أنك تجعل الأمر يبدو مستحيلا أكثر فأكثر؟ أنت... أنت تستطيع أن تحدد للزواج بنودا كالبنود التي تحدد في طلبات الشراء، أنت تريدني، ومن ثم فأنت سترعاني؟ هل تعتقد أنك تستطيع شرائي.»

«لم أقل شيئا عن الشراء أو العطاء، ومهما كانت الزاوية التي تنظرين الى الامر منها، فان الصلة الغرامية يا ميراندا هي علاقة متبادلة.»

«الصلة الغرامية، تقصد أنك عندما تفوز بك الرغبة...»

فقاطعها وهو متوتر:

«ماذا تريدين من صلة غرامية.»

«قلت لك اني لا أريد صلة غرامية هل تدرك أن ما تقترحه ينسف كل شيء هام. كل حنان، كل مودة بل كل ما يمكن أن يدعم غراما حقيقيا. لابد أن يكون هناك ود واحترام متبادلان. انك لا تستطيع أن تخطط لأي علاقة. ان رعاية انسان ما تعني حمايته فكيف يمكن أن تحميه من الأذى الذي ستوقعه أنت نفسك فيه؟»

كانت ترتعش عندما انتهت من انفجارها هذا، حتى أنها لم تسمع خطواته التي أوصلته لجوارها. وعندما أمسك

www.rewayti.net

كتفيها ارتجفت وحاولت أن تفلت من قبضته، لكنها لم تفلح، وقال لها

"أوه، كلا. ما كان يجب أن تقولي هذا. انتهيت من خطبتك والآن سأقول خطبتي، أنت لا تصدقين أني أستطيع أن أحب، وأن ينبض قلبي وأن أبدي وداً، أنت تفضلين أن تتوقعي مني الأذى. انظري إلي. انظري إلي."

ورفعت رأسها إلى أعلى ونظرت إلى قسماته الساخرة، فهمس لها

"هكذا، أنت لا تصدقين أني أستطيع أن أكون حنوناً."

لم تعرف اللحظة التي حدث فيها التغير السريع، وأحست أن عظامها تحولت إلى ماء، وأن أطرافها ذابت وأخيراً غمغمت وهي تحس أنها لم تعد تستطيع الاحتمال. وبعد ذلك بفترة مرت ثقيلة كأنها دهر تراجع للوراء وهو ينظر في عينيها وفي نظراته بريق الانتصار، وهمس لها.

"هاللو، ميراندا ميك."

ولم تستطع أن تتكلم، واكتفت بأن تتنهد وتخفض رأسها. كانت أجراس الإنذار الخاصة بالغريزة قد خمدت الآن، لكنها ما زالت تحذرها بأن عليها أن تستعيد السيطرة على نفسها، وأن تفعل شيئاً إزاء وضع يخرج عن سيطرتها سريعاً. لكن ماذا تفعل...؟ إنها لم تعرف أبداً رجلاً مثل جاسون ستيل، وقالت بصوت بدا لأذنيها صادراً من بعيد:

"أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب."

فجذبها إليه وهو يقول برقة:

"أعتقد أنه من الأفضل أن تتزوجيني."

* * *

وبعد ذلك بثلاث ليال سألها وهما جالسان يطلان على النهر

"أين تريدين أن نذهب في شهر العسل؟"

"لا أعرف."

وأخذت تحدق في الأضواء التي تنعكس على صفحة النهر وهي تتساءل متى تفيق من هذا الحلم الذي تعيش فيه منذ أن عرض جاسون عليها الزواج. إنها ستتزوج جاسون ستيل، خلال ثلاثة أسابيع. وحتى الآن ما زال الأمر سراً. فتلك رغبته وقد استجابت إليها عن طيب خاطر. لقد بذلت جهداً كبيراً حتى لا تعلن الخبر. فقد قال لها في تلك الليلة التي لا تنسى.

"آمل أن تكوني مستعدة للطوفان الذي ستواجهينه عندما يعرف الخبر في المكتب."

فحدقت فيه وهي لا تدرك مرماه، لأن المكتب كان بعيداً عنها في تلك اللحظة فأضاف بنفاد صبر:

"من الواضح أنك لم تعملي في مشروع كبير لمدة طويلة. إن الأقاويل لن تتوقف وأنا لن يهمني ذلك في شيء، لكنهم لن يرحموك."

وحينئذ طافت بخاطرها رينا هارفي، وأدركت أن جاسون بعيد النظر. إن المسألة لا تحتاج إلى قدرة على التخيل لتصور رد الفعل عندما يعرف الخبر. كما لا يتصور أحد أن جاسون سيظل بمنأى عن هذا الخبر في برجه العاجي. وفكرت أن تغيظه بقولها أنه يخشى الحكايات التي سيروونها لها عن ماضيه، لكن شيئاً ما في تعبير وجهه الجامد جعلها تظل صامتة.

وهب النسيم فحرك سطح ماء النهر برقة، مشتتاً انعكاس الأضواء واستقرت نظرتها على يديه وأصابعه. وعندما سألها مرة ثانية عن المكان الذي كانت تود أن تذهب إليه، قالت بصورة غريزية

"أكابولكو."

وتقلصت أصابعه على المدح وأوقف تحركه، وارتفع حاجباه دهشة وهو يقول: "أكابولكو؟"

وأدركت سخف إجابتها، فسارعت بالقول.

www.rewayti.net

"كلا، لم أقصد ذلك، انس الموضوع، لقد كنت حمقاء."

"ما الذي جعلك تقولين هذا؟"

"لا أعرف، ولا يهمني أين تذهب طالما الشمس مشرقة."

"حسنا، انها تشرق هناك ببهاء، لم لا؟ سأحجز غدا."

"لكنك قلت أنك تستطيع أن تأخذ أجازة أسبوعاً فحسب، والذهاب الى هناك يستغرق يوماً للذهاب ويوما للرجوع. ولا يمكن أن تقطع كل هذه المسافة للبقاء أربعة أيام فحسب."

"لم لا؟ لقد ذهبت الى مدى أبعد لمدد أقل."

وفكرت في السبب الذي دفعها الى ابداء هذا الاقتراح وتساءلت هل تذكر هو أيضا المناسبة نفسها وقالت في وهن:

"ان ذلك سيكلف كثيرا، أعني أنه عندما يكون الأمر متعلقا بالأعمال فانك مضطر للسفر مسافات بعيدة. لكن ذلك لا ينطبق على الوضع الذي يكون لنا فيه الخيار... ولا شك أن الرحلة ستكون مكلفة."

"لكنها مناسبة خاصة، أليس كذلك؟ أم أن ذلك يعتبر حاليا من مخلفات الماضي؟"

"بالطبع لا. لكني لا أريدك أن تظن أني غير معقولة لمجرد أني أجبت برد أحمق على سؤال جاد. أقصد، عندما يكون لديك مثل هذا الوقت القصير. سأكون سعيدة أن أبقى هنا أياما قليلة على الشاطىء في ديفون او كورنوال، او ننتظر حتى تخف التزاماتك ونؤجل الزفاف حتى تحين أجازتك."

"لم أحظ بأجازات لمدة عامين ولابد لي أن أوبخك ياميراندا للأسباب التالية أولا أنا أعتقد أنك غير معقولة فعلا ولكن لا لأنك تريدين الذهاب الى أكابولكو من دون البلاد جميعها لقضاء شهر العسل. ثانيا، لن أكون سعيدا ببضعة أيام في ديفون او كورنوال اذ أفضل أن أكون بعيدا عن متناول التليفون لبضعة أيام. انهم سيفكرون مرتين قبل أن يجروني عائدا عبر الاطلسي، لكن في أي مكان آخر في الداخل... كلا سأكون في متناول أيديهم. ثالثا، ان الاجابة بالنفي

الاكيد على طلب التأجيل. انا دائما أكره انتظار أي شيء أريده."

عضت على شفتيها ونظرت الى أسفل. فلا جدال في الطابع العملي لتفكيره انه لم تخف رغبته فيها، ولن تكون امرأة اذا لم تقض أحاسيسها سرورا ورضى لدى معرفتها بهذا الأمر. لقد اختارها من دون البنات جميعا وطلب منها أن تتزوجه. وتجاهلت تماما العرض البديل وهي أنها ذهبت اليه بشروط، كما تجاهلت التفكير فيما كانت ستؤول اليه الأمور لو أنه حاول اغواءها بدلا من طلب يدها غير المتوقع هذا. ففي الوقت الحاضر يكفيها أن تكون في حالة الحب المدهشة هذه مما ييسر عليها تبديد أي شكوك. وسألها:

"هل أخبرت أحدا؟"

"كلا، ولا حتى سوزان. فقد اتفقنا على ألا نبس ببنت شفة الى أن تعود من رحلة موسكو."

وأومأ برأسه قائلا

"هل أنت واثقة من رضاك عن خطط الزفاف. فالاسبوع المقبل سيكون الوقت قد فات لتغيير الرأي."

قالت وهي تدرك أنه يشير الى قرارهما بعقد قران هادىء

"أنا واثقة تماما."

لو كان لها والدان وقدر كبير من المعارف، لكان الأمر يختلف، وكان جاسون أيضا يريد زفافا هادئا. وذلك لأن معارفه كثيرون الى حد أن دعوتهم جميعا ستصبح مشكلة، فربما انتهى الأمر بدعوة نصف سكان لندن. وسيشكل هذا عبئا أكثر منه مصدرا للمتعة، خاصة وانه سيعود من موسكو قبل الزفاف بأربعة أيام. وميراندا عليها تدبير الأمور الخاصة بها، لذلك اتفقا على حفل صغير هادىء يضم عددا محدودا من الأصدقاء المقربين، يقام في بيت جاسون قبل رحيلهما الى المطار بما لا يزيد عن نصف ساعة، يستطيع المدعوون بعدها أن يبقوا ليتناولوا ما يشاؤون.

www.rewayti.net

"كلا، لم أقصد ذلك، انس الموضوع، لقد كنت حمقاء."

"ما الذي جعلك تقولين هذا؟"

"لا أعرف، ولا يهمني أين تذهب طالما الشمس مشرقة."

"حسنا، انها تشرق هناك ببهاء، لم لا؟ سأحجز غدا."

"لكنك قلت أنك تستطيع أن تأخذ أجازة أسبوعاً فحسب، والذهاب الى هناك يستغرق يوماً للذهاب ويوما للرجوع. ولا يمكن أن تقطع كل هذه المسافة للبقاء أربعة أيام فحسب."

"لم لا؟ لقد ذهبت الى مدى أبعد لمدد أقل."

وفكرت في السبب الذي دفعها الى ابداء هذا الاقتراح وتساءلت هل تذكر هو أيضا المناسبة نفسها وقالت في وهن:

"ان ذلك سيكلف كثيرا، أعني أنه عندما يكون الأمر متعلقا بالأعمال فانك مضطر للسفر مسافات بعيدة. لكن ذلك لا ينطبق على الوضع الذي يكون لنا فيه الخيار... ولا شك أن الرحلة ستكون مكلفة."

"لكنها مناسبة خاصة، أليس كذلك؟ أم أن ذلك يعتبر حاليا من مخلفات الماضي؟"

"بالطبع لا. لكني لا أريدك أن تظن أني غير معقولة لمجرد أني أجبت برد أحمق على سؤال جاد. أقصد، عندما يكون لديك مثل هذا الوقت القصير. سأكون سعيدة أن أبقى هنا أياما قليلة على الشاطىء في ديفون او كورنوال، او ننتظر حتى تخف التزاماتك ونؤجل الزفاف حتى تحين أجازتك."

"لم أحظ بأجازات لمدة عامين ولابد لي أن أوبخك ياميراندا للأسباب التالية أولا أنا أعتقد أنك غير معقولة فعلا ولكن لا لأنك تريدين الذهاب الى أكابولكو من دون البلاد جميعها لقضاء شهر العسل. ثانيا، لن أكون سعيدا ببضعة أيام في ديفون او كورنوال اذ أفضل أن أكون بعيدا عن متناول التليفون لبضعة أيام. انهم سيفكرون مرتين قبل أن يجروني عائدا عبر الاطلسي، لكن في أي مكان آخر في الداخل... كلا سأكون في متناول أيديهم. ثالثا، ان الاجابة بالنفي

الاكيد على طلب التأجيل. انا دائما أكره انتظار أي شيء أريده."

عضت على شفتيها ونظرت الى أسفل. فلا جدال في الطابع العملي لتفكيره انه لم تخف رغبته فيها، ولن تكون امرأة اذا لم تقض أحاسيسها سرورا ورضى لدى معرفتها بهذا الأمر. لقد اختارها من دون البنات جميعا وطلب منها أن تتزوجه. وتجاهلت تماما العرض البديل وهي أنها ذهبت اليه بشروط، كما تجاهلت التفكير فيما كانت ستؤول اليه الأمور لو أنه حاول اغواءها بدلا من طلب يدها غير المتوقع هذا. ففي الوقت الحاضر يكفيها أن تكون في حالة الحب المدهشة هذه مما ييسر عليها تبديد أي شكوك. وسألها:

"هل أخبرت أحدا؟"

"كلا، ولا حتى سوزان. فقد اتفقنا على ألا نبس ببنت شفة الى أن تعود من رحلة موسكو."

وأومأ برأسه قائلا

"هل أنت واثقة من رضاك عن خطط الزفاف. فالاسبوع المقبل سيكون الوقت قد فات لتغيير الرأي."

قالت وهي تدرك أنه يشير الى قرارهما بعقد قران هادىء

"أنا واثقة تماما."

لو كان لها والدان وقدر كبير من المعارف، لكان الأمر يختلف، وكان جاسون أيضا يريد زفافا هادئا. وذلك لأن معارفه كثيرون الى حد أن دعوتهم جميعا ستصبح مشكلة، فربما انتهى الأمر بدعوة نصف سكان لندن. وسيشكل هذا عبئا أكثر منه مصدرا للمتعة، خاصة وانه سيعود من موسكو قبل الزفاف بأربعة أيام. وميراندا عليها تدبير الأمور الخاصة بها، لذلك اتفقا على حفل صغير هادىء يضم عددا محدودا من الأصدقاء المقربين، يقام في بيت جاسون قبل رحيلهما الى المطار بما لا يزيد عن نصف ساعة، يستطيع المدعوون بعدها أن يبقوا ليتناولوا ما يشاؤون.

www.rewayti.net

كان الاحتفاظ بالسر أسهل مما اعتقدت. وكانت الانفلونزا ما تزال منتشرة بين العاملين، وأحد ضحاياها العائدون يكيلون النصائح لمن لم يصابوا بها بعد.

وقد أفلتت ميراندا منها وعزز شعورها بالمناعة احساسها بأنها تعيش ما يشبه الحلم الذي لم يفارقها طوال الأسبوعين الأخيرين.

كان الأمر كأنها تحيا حياتين. في النهار تذهب لعملها، وفي المساء تدخل الى عالم آخر بهيج مع جاسون، كان كل شيء جديدا عليها وكفيلا بأن يدير رأسها، هذا هو السبب في أنها لم تقابل خلال هذين الأسبوعين لا عددا قليلا جداً من أصدقاء جاسون على الرغم من الساعات الاجتماعية المزدحمة التي أمضتها معه خلال هذه المدة. أو ربما كان السبب أن جاسون ينفر من قبول دعوات معارفه الذين يلتقي بهم عرضاً في المسارح وفي المطاعم عندما تكون ميراندا بصحبته. وكان رده دوماً على هذه الدعوات هو:

"للأسف فاني مرتبط للاسبوع التالي كله."

وفي احدى المرات وجهت له الدعوة غادة فاتنة، فاعتذر وهو يقول لها:

"اتصلي بنا بعد يوم ١٣، بعد عودتي من موسكو."

فردت هذه:

"أرجو ألا تكون ذاهباً في مهمة تجسس."

لكنه همهم بغضب ثم سحب ميراندا بعيدا، وهي تقول له:

"لست كذلك ياجاسون."

"لست ماذا؟"

"لست متورطاً في شيء من هذا القبيل."

"من قبيل ماذا؟"

"التجسس؟"

وأبدى اندهاشاً عنيفاً، في حين واصلت هي:

"قرأت في مكان ما أنهم يستخدمون رجال الاعمال في

نقل المعلومات، ورجال أعمال مسافرين حسني النية مثلك، ولمرة واحدة فقط."

وحدق فيها لحظة ثم قال ساخراً:

"ذكريني لكي أريك سر المهنة في وقت ما. لدي جهاز ارسال في كعب الحذاء، وكاميرا مزروعة في جفن عيني اليسرى. كل مرة أغمز فيها فتاة تلتقط صورة."

فلم تبتسم وقالت:

"ود لو لم نذهب بعيدا."

كانت أشياء كثيرة تقلقها. وبين كل هذه كان هناك جانب آخر يسبب لها قلقا أكبر هو جاسون. لم يقم بأي محاولة لاغوائها خلال فترة الخطوبة. كانت تحيته لها تقليدية ودون أي مظاهر للوله الذي أحسته منه في تلك الليلة عندما طلب منها. يبدو أنه لم يكن يتوقع منها أن تعلن حبها له، ذلك الحب الذي كانت تتلهف لاعلانه والذي لم تجد تشجيعاً كافياً منه لتفجيره.

كانت واعية تماما أن نفسه يمكن أن تراوده في أن يسبق الزواج ويحقق رغباته منها، فهو لم يدع أبدا أنه يرتدي مسوح القديس بل كان أمينا في تناوله الموضوع عندما اعترف لها بأنه، وأحست أنه يترك لها القرار في ذلك. لم تكن تعرف أنه لهذا أم تشكره. ولمعرفتها به، أخذت تتساءل عن السبب الذي يدفعه لضبط نفسه. وفي بعض الأوقات راودتها رغبة في أن تسر بكل هذا الى سوزان، لكنها لم تجرؤ خوفاً من ألا تستطيع سوزان مقاومة رغبتها في أن تخبر رأي، صديقها. ولحسن الحظ كانت سوزان مشغولة بأمورها فلم تلحظ التوهج الجديد الذي بدأ يلتمع في عيني صديقتها.

سألت سوزان ميراندا:

"أي مختلف أليس كذلك؟"

فوقفت ميراندا قائلة:

"انه يبدو جاداً، لست أظن أنه لعوب."

www.rewayti.net

"أنوي أن أفعل ذلك معها في عطلة نهاية هذا الاسبوع."

"هل هي على علم بالأمر؟"

"لم تعرف بعد. طلبت منها فقط ألا تنشغل يوم الثالث عشر وأن تكرسه لي."

"حسناً، لا تظلي غامضة طويلاً. اخطرتها حتى بعد ثوبها الجديد أو أي ثوب تريدين منها أن تلبسه."

وأومأت ميراندا وهي متأثرة بتفاهمه وكرمه اللذين لم تكن تتوقعهما، لكنها كانت قد خططت بالفعل فيما يتعلق بثوب سوزان بشكل لا ينسف ميزانيتها المتواضعة. وأحست أن حبها له أذاب الجفاف الذي بدا على وجهه ووهنها ذلك الشجاعة على أن تقول له:

"متى ستنتهي من الاجتماع؟"

"لماذا؟"

"سأنتظرك، ثم أودعك في المطار."

"أفضل ألا تفعلي. فقد أبقى لآخر لحظة."

"لا يهم، الأمر يستحق ذلك من وجهة نظري ولو كان لبضع دقائق."

"أمل ألا تكوني زوجة يسيطر عليها حب التملك."

"هناك فارق بين الاهتمام وحب التملك. وأعتقد أني أستطيع أن أعرف الحد الفاصل بينهما."

"ستكونين واحدة من النساء القلائل اللواتي يستطعن ذلك بالنسبة الى خبرتي على الأقل."

وانتظر بفارغ صبر لم يخفه بينما كانت هي تقوم بجمع أشيائها ووضعها في حقيبتها.

وجلست بجفاف في السيارة وهي تحدق الى الأمام. سبح بها الفكر وجعلها تحس برجفة، وبدأ صدى ملاحظته عن الزوجة المحبة للتملك يتردد في ذهنها المرة تلو الأخرى. هل هكذا يبدأ الشجار بين المحبين؟ هل الأمر بهذه السهولة؟

وأبطأت السيارة لتقف على بعد بضعة أمتار من نقطة

التقاطع بين الطريق الرئيسي مقابل ويلوغروف، وهو يقول:

"هل يزعجك أن أنزلك هنا. ذلك سيوفر علي الدوران الذي يستغرق يوماً، عند نهاية شارعكم."

"بالطبع لا، سأراك عندما تعود، أتمنى لك رحلة طيبة."

ولم يبد أنه سيقوم بأي حركة تجاهها، وبعد أن ألقت ميراندا نظرة خاطفة على وجهه استدارت ومدت يدها لتفتح الباب فسمعته يقول:

"ميراندا."

والتفتت اليه توا، فأضاف:

"أنت تعرفين من الآن أني أحيا حياتين، حياتي الشخصية وحياة كارونا ستيل. وأنا أحاول الفصل بينهما رغم أن هذا ليس سهلاً، أو ممكناً دوماً. ان لشركة كارونا ستيل مطالب كثيرة، تحول دون الترفيه عن المرأة."

"هل تود تغيير رأيك؟"

"عن ماذا؟"

"عني."

وأفلتت منه صيحة تعجب، وانزلقت يداه عن عجلة القيادة وهو يقول:

"اصغي الي. ذلك هو بالدقة ما أريد أن ألفت انتباهك اليه. حسب أنا ملاحظة معينة منذ برهة، اعترضت أنت عليها يا ميراندا."

"لم أفعل."

"بل فعلت، ان لم يكن بالكلام فبتغيير الكلام، فمنذ تلك اللحظة لذت بالصمت. كنت تريدين توديعي في المطار، لكن في هذه المرة من الأفضل ألا تفعلي. سأسافر مع رجل أعمال آخر، سأقابله هناك. وكل ما ستفعلينه حينئذ هو أنك ستقفين حيث تكون ولن يكون هناك وقت لتبادل العواطف."

"هل تعني أني سأكون مدعاة لتشتيت تفكيرك؟"

"لم أقل ذلك. ولا تضعي كلاماً من ابتكارك على لساني. كل

www.rewayti.net

ما أحاول أن أوضحه هو أنه ستكون هناك مرات كثيرة يأتي عملي فيها في المكان الأول، وتلك المرة واحدة منها آه لو أن النساء يدركن هذا فحسب ولا يمضين في إصرارهن الذي لا نهاية له ... إن ذلك سيوفر متاعب لا أول لها ولا آخر."

"إنك تبدو وكأنك تتكلم من واقع التجربة."

"نعم."

"أظن أنك تأخرت"

"حسناً، سأراك بعد موسكو. وكل شيء سيكون على ما يرام بعد هذا اليوم."

وكانت هناك ابتسامة خفيفة وقبلة أخرى من تلك القبلات المتعجلة التي تركتها وهي تحس بالارتباك وعدم الرضى. ونزلت من السيارة وشعرت بأن قلبها مثقل بالهموم وهي تدخل شقتها الساكنة. وأحست أنها بدأت تفيق من الحلم. لم يعد في إمكانها التخلص من الشكوك التي تراودها. قال لها إن كل شيء سيكون على ما يرام... هل سيكون الأمر كذلك فعلا؟ هل يأخذ جاسون الزواج مأخذ الجد مثلها؟

توقعت أن الأيام ستزحف ثقيلة طويلة وهو بعيد، ولدهشتها، أحست أنها تطير طيراناً.

وفي عطلة نهاية الأسبوع ودعت أيام العمل في كاروما ستيل رسمياً لتبدأ إجازتها، وعملياً للأبد. ولم يحدث ما يستدعي أن تستشير سكرتيرته، ولم تندلع في الشركة أي إشاعة مفاجئة كاندلاع النار في الهشيم. ومع ذلك أحست بالضيق وهي تفرغ أدراج مكتبها من حاجياتها الشخصية وتضعها في حقيبتها. لا شك أنه سيكون أمراً رائعاً لو أنها أعلنت الخبر ووقفت ترقب كيف يستقبله مجتمعها. إنها تود أن ترى وجه ريب هارفي عندما تسمع الخبر... لكن كان عليها أن تقنع بإخبار سوزان و راي وكما خشيت، أعربت سوزان عن غضبها منها وصاحت

"كان عليك أن تخبريني. لم أكن لأنطق بكلمة واحدة،

وأنت تعرفين ذلك"

"ربما أن تلك هي الطريقة المثلى. جاسون لم يرد جلبة."

"حسناً! الآن أتذكر أن عينيك كانتا تبدوان حالمتين عندما يكون قريباً. وكنت أعتقد أنه ليس لدينا ما نخفيه عن بعضنا بعضاً."

وبمهارة حولت ميراندا الدهشة نحو ترتيبات الزفاف، وسرعان ما صفحت عنها سوزان في غمرة انشغالها بالتخطيط لما سترتديه، وقررت ميراندا عندما خرجتا للشراء في اليوم التالي أن ترتدي ثوباً من نسيج رقيق ملون تتناسق له أكمام كاملة على الطراز الفيكتوري، وفيه تطريز بخيوط فضية وغطاء للرأس من طراز جولييت. وهذا الثوب ستستطيع بعد ذلك أن ترتديه في الحفلات و المناسبات الخاصة. وبعد ذلك ركزنا على ثوب سوزان، وفي النهاية اختارت قماشاً من حرير يناسبها على نحو رائع. وبعد ذلك ذهبتا إلى الشقة المقابلة جين التي وصلت حديثاً من أدنبره. وكانت جين فتاة ذات طبيعة وضاءة كالشمس المشرقة تحب المرح والصخب، فسكبت قلباً وقالباً تساعد ميراندا في الاستعدادات الأخيرة لليوم العظيم.

وفجأة بدا كأنما هناك حشد من المهام يجب القيام بها في آخر لحظة، من مشتريات وأعمال لابد أن تتم، وفي يوم الخميس وصلت حقائب الثياب وأدوات الزينة التي طلبها جاسون قبل أن يسافر، ونسي أن يخبرها بها، وفي اليوم التالي جاءتها باقة أزهار وبطاقة كتب عليها جاسون "أراك قريباً".

وفي ذلك المساء صعدت جين السلالم إلى غرفتها عدواً وأنفاسها تكاد تنقطع وقالت لميراندا:

"لك مكالمة تليفونية شخصية – لابد أنه هو."

"من موسكو، لا يمكن."

لكنه كان جاسون بالفعل يطلبها من موسكو.

www.rewayti.net

وعندما تحدثت اليه استطاعت في أول الحديث أن تخفي، وبدا صوته غريباً عبر البحر والقارة، لكنه كان هو. وسارعت دقات قلبها سروراً وتدافعت الى شفتيها عبارات الود والحب لكن لم يكن هناك وقت لذلك. فبعد مجاملة موجزة تحدث سريعاً وبحزم، وعندما انتهى من حديثه أحست ميراندا بالضيق والقلق، فقد حدث شيء غير متوقع يمنعه من أن يعود غداً.

كان عليه أن يقطع رحلته ليجري اتصالات عمل في براغ. كان ذلك ضرورياً، نظراً الى ما حدث من تطور جديد، وليس هناك مفر من الذهاب. وسألت ميراندا وهي تستعد لأسوأ الاحتمالات.

"لكن متى؟"

"يوم الجمعة، يوم الجمعة أخر النهار."

"لكن ذلك هو اليوم السابق. ."

"لكنه ليس اليوم التالي، لا تقلقي، ولا تأتي الى المطار ما لم أخطرك. نامي مبكراً لتحافظي على جمالك."

"لكن ذلك يعني أني لن أراك حتى..."

وانتهت المكالمة وخفت صوته بعيداً، اعتقدت أنه قال شيئاً عن برقية لكنها لم تسمعه جيداً لانقطاع الخط. ولم تستطع أن تفعل شيئاً الا أن تضع السماعة.

انتابها الذعر بعد أن تبددت لها كل الاحتمالات المرعجة. ربما لا يستطيع أن يجيء في موعده، ويتأخر مدة أطول من المتوقع. وعندئذ يتعين تأجيل الزفاف، أو الغاؤه.

وطمأنتها جين بأن شيئاً من هذا لن يحدث. فالرجال متزوجون يقفزون في طائرات الشركات الدولية كما تقفز ميراندا في المترو وأكدت لها أنه سيعود في الموعد حتماً.

ودت ميراندا أن تشعر بمثل هذه الثقة. انهما سيقومان برحلة تبدأ في مساء يوم السبت، وسيصل جاسون في الساعات الاولى من الصباح مما سيعني أنه سيطير حول نصف

العالم خلال يومين ليمضي ساعات قليلة هي لندن ليتزوج.

وظلت مضطربة قلقة طوال يوم الاربعاء، والخميس قررت أن تتحدث تليفونياً مع الآنسة مايو. واستراحت حين علمت أنه على اتصال بالمكتب وأن الآنسة مايو واثقة من سلامة جدول مواعيده. لم يكن هناك مدعاة للقلق، فكل شيء يمكن السيطرة عليه.

وقالت جين لميراندا:

"عندما يجيء يوم السبت سنكون أعصابك قد تحطمت. هل تعرفين ما أفكر فيه؟ أرى أن نخرج، لندهب الى برايتون للتسرية عن أنفسنا."

"لا أستطيع، سأذهب الى مصفف الشعر في المساء، وربما جاء هكالمه تليفونية ولم يجدني."

تمنت ميراندا من كل قلبها لو أنها عملت بنصيحة جين. فلو خرجت معها، لما كانت هي لقلق عندما تحدثت سوزان تليفونياً ثم ما لبثت أن جاءت اليها. وسرت ميراندا لرؤيتها وان دهشت بسبب ذلك. لانها تعرف أن سوزان تعمل كجليسة أطفال. فقالت لها سوزان أن راي صديقها أصر على أن تترك هذا العمل. وسألت سوزان عن جين فأخبرتها ميراندا أنها خرجت وأضافت

"تحدثت الى الآنسة مايو هذا المساء وقالت انه سيعود في رحلة المساء نحو التاسعة، وسيحدثني تليفونيا بمجرد أن يصل الى البيت."

وتوقفت عندما لاحظت تعبير وجه سوزان العنيف غير المستسلم وسألتها

"سوزان مادا حدث؟"

وقالت سوزان "أنا... أنا..." ومسحت شفتيها الجافتين وبدت كمن يوشك أن ينخرط في البكاء وحدقت فيها ميراندا. تبحث عن تفسير وفجأة اهتدت الى تفسير فقالت

"انك لم تأت لتقولي لي أنك لن تستطيعي أن تجيئي

www.rewayti.net

غداً؟ أوه، يا سوزان لن تتركيني لوحدي! سوف...."
"أوه، أود لو لم أكن قد أميت أود... كيف سأقول؟"
"تقولين ماذا؟ ماذا يتعين عليك أن تقوليه؟"
"كنت أود لو أن جين هنا ربما أن... انك ستكرهينني، لكن علي أن أخبرك وهي حالة ما إذا كان ذلك حقيقياً، فسيكون الوقت غداً قد تأخر."
"سوزان، أخبريني بسرعة."
"حسناً... ذ ع الخبر الآن.. في المكتب، وبالطبع دهش الجميع وتحدثو عنه جيم غرايسون - أنت تعرفين جيم الكبير رجل الصيانة، الذي يرمت على كتف كل موظفة ويسميها الجميلة، حتى الآنسة بيتسي العجوز، المحافظة، قال انه لم يدهش لأن رعيته سوم رجل الأمن، الذي تعرفينه، قال له انه رأكما أنت وجاسون تغادران بيتسي معاً ذات ليلة بعدها رحل الجميع، لكنه لم يحبس بيت شفة لأن ذلك وظيفته ولأنه لا يريد أن يخوض في سيرة الناس."
وتوقفت سوزان فجأة ميراندا على الاستمرار فقالت هذه "حسناً، لقد سأل أحدهم لم كل هذه السرية؟ والتفتت الي ربما تريد أن تتبين ما إن كنت أعرف طوال هذه المدة ولماذا لم أخبرها، لقد نظرت الي كما لو كنت جاسوساً في وسطهم، وعندئذ قلت لها ان هذا ليس من شأنها، وعندئذ... لا أستطيع أن أتذكر كل كلمة قالتها، لكنها جعلتني أعدها أن أخبرك ببعض الشيء قبل أن يكون الوقت قد فات وقالت ان لم أفعل فستأتي هي هنا لتراك."
"هذا! ألا تعرف أني سأتزوج غداً؟ هل تعتقد أني اهتم بأي شيء تقوله لي عن جاسون؟ أيا كان فأنا لا أريد أن أسمعه أصبح كل ذلك ماضياً الآن، لا يهمني ان كان لديه حريم أو كان يحتفظ بنصف دستة من العشيقات، أنا أعرف أنه كان لجاسون علاقات، أعتقد أني كنت سأعلق لو لم يكن له، انه ليس صبياً، لن أسمع أي شيء من تلك المرأة المسمومة."

"أوه، كلا، أنت لا تفهمين، أنا أعرف أنها ثرثارة، لكنها ليست بهذا السوء، من فضلك اصغي الي، انك سترتكبين خطأ فادحاً وتحطمين قلبك، انها مهمة بك حقاً، ولابد من اخبارك."
شل جليد الخوف ميراندا ثانية، وهمست في رعب
"من الأفضل أن تخبريني، وسنتهي من هذا الموضوع، لماذا لا يجب أن أتزوج جاسون."
"لأن له علاقة مع امرأة متزوجة."
وبدت اللحظات دهراً وميراندا تحدق بعينين مملوءتين رعباً في وجه صديقتها الملىء بالتعاسة، وأخيراً استطاعت بث النفس أن تقول
"لا أصدق هذا، ليس هذا حقيقياً لا يمكن هذا، من هي؟"
"لا أعرف، لم ترد ربما أخباري، اذ قالت لا أسماء الآن حتى لا أجر على نفسي المتاعب لو عرف هذا، لكنها اقسمت أنها رأتهما معاً اخيراً وأنها تعتقد أن هذا حقيقي."
لم تستطع ميراندا أن تنطق ونظرت سوزان الى خديها اللذين اكتسيا ببياض الموت، وقالت لها:
"هل أنت على ما يرام، أنا آسفة، لكن كان علي أن أخبرك، ما كنت لأغفر لنفسي لو اخفيت عنك الأمر."
"ان الوقت متأخر الآن، لقد فات الأوان... فأنا أحبه."

www.rewayti.net

٧ - ليلة العرس البيضاء

امرأة متزوجة...

هجر النوم ميراندا عشية زواجها، وتلاحقت في ذهنها الأحداث التي مرت بها: ما كشفته لها سوزان ونصائح جين وكل ما سمعته عن جاسون.

لكن كل هذا ينتمي الى الماضي، حتى لو كان حقيقيا، انه لا يمت بصلة الى الحاضر. فالمنطق يؤكد أن غمزات رينا لا يمكن أن تكون حقيقية، ألم تشاركه هي نفسها الكثير من أمسياته الخالية من العمل وعطلاته الأسبوعية منذ أن طلب منها الزواج. ورجل كهذا مثقل بمسؤوليات جسام وأعمال وسفريات عديدة لا يمكن أن يكون لديه وقت لما تدعيه رينا من علاقة بينه وبين امرأة أخرى. ان رينا يمكن أن تختلق أي قصص لتزوجها عند أية همسة من اشاعة، ولكن لا يمكن أن تكون له علاقة بهذه المرأة!

مضت سوزان وهي تحس بالتعاسة، وجاءت جين وعرفت أسباب الحالة البائسة التي وجدت فيها ميراندا، وغضبت وصدمت وهتفت قائلة:

"اما أن تنسي ذلك وتثقي فيه او تطلبيه تليفونيا وتعرفي منه الحقيقة."

ولم تستطع ميراندا أن تفعل أياً من الأمرين. وعندما طلبها جاسون تليفونيا في العاشرة كما وعد لم تستطع سوى أن ترد باقتضاب. وظل السؤال حبيسا في صدرها يتعصرها ألما وهي تتلهف أن تسمع منه كلمة يؤكد فيها حبه لها، كلمة تقضي على شكوكها. ويبدو أنه أحس بما يجول في خاطرها، فأسرع يقول:

"لن أستبقيك، فأنا نفسي تطوف بي مثل مشاعرك."

"مثل ماذا؟"

"مثلما تبدين أنت "متقطعة الأنفاس عاجزة عن الاستمرار" لكن لا تقلقي فالغد غدنا ياحلوة."

يا حلوة... كررت الكلمة لنفسها بنعومة. كانت هذه الكلمة تشير الى عمق حبه لها، ذلك الحب الذي تبحث عنه طويلا لا كمثل تلك العاطفة الهشة التي أظهرها في بعض الأحيان والتي شعرت بغريزتها أنها عاطفة مصطنعة يتقنها الرجال لارضاء النساء. ان اللوم يجب أن يوجه الينا نحن معشر النساء فاننا نريد فيضاً مستمرا من التعبير عن حب الرجال لنا والرجال يستطيعون أن يفعلوا ذلك بطريقة آلية

وأدارت عينيها تتأمل الغرفة بعينين مضطربتين، تلك آخر مرة ستنام فيها هنا. وقريبا تنام هنا فتاة أخرى تداعب جفنيها أحلام عذبة في هذا السرير. وجاءت جين تطمئن عليها وهمست قائلة:

"ميراندا، أمازلت يقظة؟"

"نعم."

"هلا تنامين بحق السماء. هل تودين أن تكوني محطمة في يوم زواجك؟"

"لا أستطيع أن انام، ولا أعرف ماذا أفعل."

"قلت لك، انسي الموضوع. افترضي أنك ذهبت اليه وناقشت الأمر معه ووجدت أنه مجرد اشاعة. لابد أن تفضي اليه بما يشاع عنه وأن تعطيه الفرصة للنفي."

لكنها كانت تعرف ماذا سيكون عليه رد فعله: غضب بارد وربما انسحاب من الامر كله.

www.rewayti.net

لن يقر ولن ينفي، وسيكون هذا هو نهاية كل شيء، واذا كان الشك بينهما قد بلغ هذا الحد، فما هي الثقة او الحب؟

واستطردت جين تقول لها

"هناك دائما دافع وراء هذه الاشاعات فمثيرو الاشاعات يسعدهم أن يدمروا ما حرموا منه."

لكن سوزان ليست من هذا النوع.

وأخيرا راحت في سبات عميق، وبدا لها أن ذلك لم يدم سوى لحظات عندما لمست جين كتفها وهي تقول

"استيقظي... ها هو شاي الصباح للعروس."

"كم الساعة الآن؟"

ونظرت الى الساعة وهتفت مذعورة.

"الثامنة والنصف والتاكسي سيأتي في العاشرة."

"هدأي كل شيء يمكن التحكم فيه تماما، لديك خمس دقائق للشاي بينما أعد لك حمامك. كل ما عليك أن تفعليه هو اطاعة الأوامر."

نظمت السيدة سوندرز وجين كل شيء، وهنا أول كل شيء بطمأنة ميراندا. وعندما جلست هذه امام المرآة قالت لها جين

"أنت في حاجة الى لمسة ألوان على هذه الخدود."

وعلقت السيدة سوندرز

"انه مجرد توتر يسبق الزواج. كنت أنا ايضا أبدو كذلك عند زواجي."

"أنت يا خالتي، أعتقد أن عمي اندرو كان يبدو أسوأ عشر مرات."

"أمضى عمك اندرو ليلته مستيقظاً يتساءل هل أتزوجه أم أتزوج أفضل رجل يتقدم الي!"

وجاءت سوزان بالتاكسي حيث ذهبا الى مكتب التسجيل ولم ينطق أي منهما بحرف طوال الرحلة. كانت سوزان تحس بالذنب وبدأت ميراندا ترتعش وهما تدخلان المبنى. كان

أول شخص رأياه هو جاسون، الذي بدا وسيماً جذاباً في البدلة السوداء الرسمية، وتقدم اليها ومعه رجل طاعن في السن قوي البنية وجهه مألوف لميراندا بصورة وامضة. وقال لها جاسون انك تبدين رائعة للغاية."

"هل أبدو كذلك؟"

"لا أعتقد أنك قابلت من قبل سير شارل، رئيسنا. شارل تلك هي عروستي، الآنسة ميك وعلق سير شارل

"انها عروس جميلة للغاية. أنا مسرور لرؤياك يا عزيزتي. وآمل أن يستحقك عريسك، ها هي زوجتي جاءت."

وبدأ سير شارل في تقديم كل منهما للأخرى. وفي اللحظة نفسها انتهت مراسم الزواج السابق وبدأ الاحتفال الذي أصبحت ميراندا بعده السيدة جاسون ستيل.

انها تتذكر تفاصيل قليلة من يوم الزواج هذا. اذ [illegible] سير شارل على العقد كشاهد ثم قال لجاسون

"قبل عروسك يابني وكانت سوزان تتعثر في مشيتها [illegible] أنوار آلات التصوير."

ورجعا في سيارة سير شارل الى بايرن سكوير. وعندما أصبحا منفردين في السيارة عانقها ثم سألها

"هل تكرهين كل هذه الضجة."

"كلا، بالطبع."

"مع كل التبجيل لأحلام النساء، أعترف أنني ممتن أننا [illegible] البعد عن الضجيج. بصراحة ان الخيال يجفل مما كان [illegible] في نفسي هذا الضجيج."

وأخذ يدها حيث أشار الى مكان خاتم الزواج وقال

"أليس هذا هو الشيء الأساسي؟"

وخفضت رأسها ودقات قلبها تتسارع. وأضاف

"لو خالفت الآنسة مايو و ليبي والسير شارل تعليماتي لفصلتهم."

"انك لا تستطيع أن تفصل سير شارل!"

www.rewayti.net

"للأسف لا ، لكني سأجد وسيلة للانتقام."

لم تكن تشك في هذا وعندما وصلا الى المنزل ودخلا ، رأيا في الردهة الهدايا التي قدمت اليهما ، من سوزان وراي وجين وخاصة ومن سير شارل وزوجته ومن والي أمبرور الذي كانت تعرفه بالنظر فقط، وفوجئا بوجود والي منتظرا مع مجموعة من الرجال في البيت. لما رآهما قال لهما

"لقد سترب الخبر في المدينة فلا يمكن أن أدعكما ترحلان بلا وداع!"

وكان من الواضح أن والي نظم احتفالا جميلا ساده جو من الصخب والمرح والفرح. وعندما أن وقف رحيلهما بدا جاسون ممتنا للخلاص من هذا الضجيج وفي الشارع شاهدا سيارة سير شارل وسيارة والي مزينة بالأشرطة على أهبة الاستعداد لاستقبال العروسين وتسابقت الأيدي لمصافحتهما ، وكان سير شارل واقفا قرب سيارته يلوح لهما وأخذ جاسون العروس وعانقها وتعالت الصيحات والهتافات، ثم جرى بها الى سيارة سير شارل الذي فتح لهما بابها ودخلا وانطلقت بهما الى المطار، واستغرق بعض الوقت حتى استرجعا انفاسهما.

عبر الرحلة الطويلة عبر الاطلسي سهلة يسيرة بلا تأخير، وكانت تجربة جديدة مثيرة بالنسبة الى ميراندا. ومع أن التجربة لم تكن كذلك بالنسبة الى جاسون فانه كان يشاركها سرورها، لكنه بعد أن توقفت الطائرة في برمودا قال لها انه سيغفو قليلا فلا حاجة به للتطلع الى المناظر التي يمران فوقها أثناء الرحلة اذ سبق أن شاهدها مرارا، وان منظرها سينصرف عنه الى تلك المشاهد فقالت له:

"لا أعرف كيف تستطيع؟"

"أستطيع ماذا؟ أن أنام في شهر عسلي؟"

"كلا، أقصد كيف تستطيع أن تتجاهل كل هذا الجمال حتى لو كنت رأيته من قبل؟ انه لشيء جميل جدا."

"انتظري حتى ترى غروب الشمس."

وأغمض عينيه مؤكدا عزمه على النوم.

وظلت تتأمله وهو نائم الى أن فتح عينيه وقال:

"لا تنظري الي كذلك... فأنا لا أستطيع... هناك أناس كثيرون في الطائرة أم يجب أن.. هناك أربع ساعات على الأقل قبل أن تصبح وحدنا..."

وفي هذه اللحظة جاءت المضيفة تسألهما ان كانا يريدان شيئا وأحست ميراندا أن مجيئها لم يكن في الوقت المناسب، فشكرها جاسون وصرفها ثم قال لميراندا:

"وجهك يحمر خجلا ياحلوتي."

"ماذا تتوقع؟ انها غلطتك!"

"اذن سأتلقى قدرا هائلا من اللوم. في أي حال فاني أود دوما رؤية لون وجهك هذا."

"اعتقد أنك تود أن تنام."

"عرب عني اللوم. أريد شخصا يحكي لي قصة قبل النوم."

"أي حكايات الاطفال تفضل؟"

كبرت على ذلك منذ وقت طويل. كنت أتوقع منك اقتراحات أكثر رومانسية."

"نعم ياحبيبي أو..."

"من في تلك الحكايات هو الشخص الذي نام وأيقظوه مقبلة...؟ ان هذا يناسبني أكثر من غيره."

وفي الموعد المحدد هبطت الطائرة في مدينة مكسيكو، وهناك واجها أول تأخير. اذ تأخرت الطائرة التي سيكملان بها رحلتهما لمدة ساعة وأخذ هو يدخن في عصبية في حين ظلت هي هادئة ساكنة، ولم تسترح الا عندما أقلعا من جديد وقال لها.

"لو كان كل الركاب صبورين مثلك لما سافر أي انسان الى أي مكان. ستكون هناك مفاجأة صغيرة لك في الفندق."

"مفاجأة؟ لم أكن أعرف انه يمكن ترتيب المفاجآت من بعد."

www.rewayti.net

"تستطيعين أن ترتبي أي شيء من أي مكان لو عرفت السبيل الى ذلك."

ولم يذكر شيئا آخر في هذا الصدد وتركها تخمن ما تشاء عن هذه المفاجآت، ولما يئست منه كفت عن التفكير فيها. وأخيرا هبطت الطائرة، وخرجا الى اكابولكو والليل المكسيكي، الى مشاهد واصوات وموسيقى وضحكات وأزهار جديدة بددت كل أثر للارهاق.

ولم تدر ميراندا أن يدها تسللت الى يد جاسون وأن عينيها تومضان ببريق الفرحة، وظلت محلقة في عالم بهيج، فلم تشعر بالوقت الا والتاكسي يقف أمام الفندق وصبيان يهرعان اليهما لحمل الحقائب. وعندما دخلا أسرع موظفو الاستقبال يولون جاسون كل الاهتمام وهو الأمر الذي كاد أن يصبح حقا له في كل مكان.

وخرجا ثانية من الفندق مع أحد موظفي الاستقبال وسارا بين الحدائق والنباتات التي تضيئها فوانيس ذهبية كادت تحيلها نهارا. وكان هناك حمام سباحة بيضاوي، تطفو فيه زهور يانعة، وخلفه فيلا صغيرة، قادهما رجل الفندق اليها.

كانت الفيلا رائعة مفروشة على الطراز المكسيكي تضم غرفة جلوس تفضي الى حديقة تنساب فيها الموسيقى من مصدر غير واضح كما تضم مطبخا صغيرا مجهزا بكل الأدوات والأطعمة والمشروبات وغرفة نوم كبيرة جيدة التهوئة، تطل على البحر، وحمام غاية في الاتساع والنظافة، وفي الفندق ثلاثة مطاعم، لهما الخيار بينها، أو اذ أرادا يطلبان طعامهما في الفيلا. وكان للفيلا حمام سباحة خاص.

وأبلغ جاسون رجل الفندق أن كل شيء على ما يرام، في حين اخذت ميراندا تحدق حولها في انبهار. وجاء عدد آخر من العاملين في الفندق يحملون عشرات العلب البيضاء الكبيرة وعليها علامة ذهبية مطبوعة في ركن منها، وشريط ذهبي يلف كلا منها، ووضعوها في غرفة النوم كما أمرهم جاسون وأخذوا

بقشيشا وانصرفوا، وبعد انصرافهم قال جاسون لميراندا

"حسنا ياسيدة ستيل، هل توافقين على الفيلا؟"

"انها لرائعة."

"رأيت أنك تفضلينها على الأجنحة التقليدية في الفنادق. فهنا يمكن الاسترخاء كيفما يريد المرء والآن هيا بنا نفتح العلب."

"هل جميعها لي؟"

"عندما تفتحينها سترين على وجه التأكيد أنها ليست لي."

وترددت قليلا ثم مضت الى غرفة النوم حيث كانت العلب مكدسة في اكوام، ورفعت العلبة العليا منها وفتحتها فوجدت ثوبا نسائيا طويلا فضفاضا بلون المشمش، ومجموعة أخرى من الثياب باللون نفسه، وانهمكت كالمحمومة في فض العلب واحدة بعد الأخرى، وفي كل مرة تفلت منها صيحة فرح وابتهاج. اذ وجدت فيها كل ما تحتاجه سيدة أنيقة تشتري ملابسها من أرقى المحلات، وبكل الالوان وجاءها صوت جاسون.

"هل مقاسها مناسب؟"

"أعتقد هذا، لم أجرب أيا منها بعد... لكن ياجاسون، لا يمكن أن تشتري كل هذا، انه يساوي ثروة."

"هل تعجبك؟"

"تماما، انها رائعة، لكن..."

"فكرت في أن تختاري بنفسك ما تودين، لكني خشيت من أن جعلك يمنعك من الاختيار."

"انها جميلة، انك غاية في الكرم."

ونظر الى العلب وهتف في قلق

"هل فتحتها جميعا؟"

"أعتقد هذا. ماذا هناك؟ هل أرسلوا أشياء خطأ؟"

وقفزت الى استنتاج مؤداه أن خطأ كبيرا حدث، وأن هذه الأشياء ليست لها، انها لعروس أخرى، أو لنجمة سينما

www.rewayti.net

أو لأميرة.

وقال جاسون وهو يقذف احدى العلب الفارغة بقدمه:

"الأغبياء. لقد أخطأ شخص ما. هناك أشياء ناقصة، تلك الفتاة الملعونة، أرسلت كل الالوان المعروفة عدا اللون المهم..."

أخيرا أدركت ما كان يعنيه. فلم يكن ثوب العروس الأبيض التقليدي موجودا، وقالت له وهي تبدأ في وضعها على العلاقات

"لا يهم، لن أغيرها بأي شيء آخر، حتى باللون الأبيض كالثلج. ولا أعتقد أني في حاجة الى افراغها من علبها فيما عدا ثوب السباحة."

"هل ستفرغينها أم تأخذين حماما أولا؟"

"أفضل أن أفرغها أولا."

"اذن سآخذ أنا حماما الآن."

وعندما عاد وجد أنها ما زالت منهمكة في الترتيب فسألها ان كانت تريد عونا فشكرته مؤكدة أنها تستطيع أن تنهض بالامر وحدها. فجلس يرقبها بعينين نصف مغمضتين وأخيرا قال لها:

"اتركي الباقي بحق السماء وتعالي هنا."

وبدأت تدرك ما تعنيه هذه الليلة فقالت

"كدت أنتهي منها لا أستطيع أن أترك كل هذا."

وانهمكت في العمل حتى جاءت الحقيبة الاخيرة ووجدت فيها الاشياء التي اشترتها هي. كانت لا تقارن بفخامة وروعة وغلاء ما اشتراه جاسون فتركتها مكانها في الحقيبة بدون أن تفرغها.

وتحرك بهدوء ووضع يده على كتفها وأدارها اليه، وتسارعت دقات قلبها وأحست بالحاجة الى الاطمئنان. لو أنه يقول أنه يحبها وسألها:

"هل قال لك احد كم تبدين جميلة اليوم؟"

"قلت لي أنت نفسك وكذلك سوزان وسير شارل."

"سير شارل وسوزان أعتقد فعلا أنك غير مغرورة. ما هي الفضائل الأخرى التي يتعين علي أن أكتشفها فيك؟ الصبر، التواضع الحلم، البراءة."

"انت تجعل الفضائل تبدو مملة للغاية. لكنك نسيت أشياء أخرى منها أني عنيدة، وسليطة اللسان، ومجموعة أخرى من الصفات لقد قلت ذلك بنفسك، هل تذكر؟ في تلك الليلة عندما وجدتني في مكتبك!

"ذكرت كثيرا من الأشياء المفزعة في تلك الليلة، أليس كذلك؟ لكني مازلت غير متأكد من مدى استحقاقك لها."

وجذبها اليه، وتسربت اليها رائحة جسمه الدافئة وهو يقول لها:

"نعم ان لك أغوارا بعيدة لم تسبر بعد، وسأسبرها جميعها واحدا بعد الآخر."

وهرعت الى الحمام، وكالمحمومة نظفت أسنانها وأخذت حماما سريعا وارتدت ملابسها وعادت الى الغرفة. فوجدته مستلقيا على ظهره ويداه خلف رأسه، ونظر اليها بدون أن يتحرك، فقالت له

"سأجرب الثياب جميعها، ثم..."

"آخر الوقت لاجراء عرض أزياء."

طفا المصباح المعلق الى أعلى فوق رأسه، وأكد لها أنه يتوقع منها أن تنام في السرير الآخر بجوار سريره فقالت:

"... لكن..."

"لكن ماذا؟"

"انها ليلة زفافنا."

"أم ليس ذلك."

ظل فترة يحدق فيها ببرود حتى خفضت رأسها. لم تتصور أن تنتهي الامور كذلك، ولم تدر ماذا تفعل. فخلعت روبها وجلست على الكرسي. ونادى عليها:

www.rewayti.net

"ميراندا، انا لست من أنصار الحب من قبيل الواجب، فحتى التضحية بالعذرية لا تغريني على ذلك، عرفت منذ أن قابلتك، كم سيكون الأمر صعبا، لكني..."

"اذن لماذا تزوجتني؟"

"لم تصغ لكلامي حتى نهايته، كنت سأقول اني كنت على ثقة من أن الأمر سيكون دوما على هذا النحو، فرغم أنك تزوجتني فانك لا تثقين بي."

"بل أثق، أنا..."

"انك لست مقنعة في كذبك، لكني لن أجادل، وفي الوقت الحالي لنقل أن الثماني والأربعين ساعة الماضية كانت مرهقة جداً ولنترك الأمر عند هذا."

"فهمت، انك تعب من السفر."

"كلا لست كذلك، ولست تعبا أصلا، لكني لست في حالة تسمح بالتودد المطول، لذلك أنصحك بأن تنامي حفاظاً على جمالك."

"لو كانت هذه رغبتك."

"نعم، والأمانة تقتضيك أن تعترفي بأنها رغبتك أيضا."

فتسللت الى السرير الآخر، ورقدت وساد الصمت الغرفة، لكن النوم جفاها وأخذت تستعرض كل ما مر وتتساءل هل أخطأت، وأدركت أن البداية لم تكن موفقة من جانبها.

٨ – الليلة الثانية

أيقظت ميراندا أن النوم سيجافيها خلال تلك الساعات الطويلة التعسة، رغم أن ارهاقا عميقا بدأ يرهف على جسمها، تاركا دمعها ومواطنها فقط مستيقظة يلهبها الألم بسياطه.

وسمعت جاسون يتحرك في فراشه، فحبست أنفاسها متسائلة هل ما زال مستيقظا، وتمنت من كل قلبها أن يتكلم عبر الظلام فتستمد من ذلك راحة، لكنه لم يفعل، وعبست ثانية، من المؤكد أن تلك أقسى أنواع الوحدة، فهي وحيدة وان لم تكن وحيدة، زوجها ينام في سرير آخر الى جوار سريرها، وأخيرا هدها التعب فنامت، وكانت تلك أول تجربة، أما التجربة الثانية التي تعرضت لها فكانت الاستيقاظ الفاجيء، ثم لحظة الادراك التي تأتي مع فهم الظروف، وجلست ورأت الستائر ما تزال مسدلة رغم أن الأصوات الآتية من الخارج كانت تبين أن يوم أجازة ولعب آخر قد بدأ، ثم أدركت أنها وحدها، ونظرت الى ساعتها فوجدت أنها الثالثة، فظنت أنها متوقفة، ووضعتها على أذنها فوجدتها منتظمة ولم تتوقف، ونهضت من السرير ووجدت الحمام خالياً وروب جاسون الأزرق على علاقة خلف الباب، وأدركت أن خلو الجناح لم يكن وليد خيالها، وجعلها الرعب تسرع الخطى في الغرف الاخرى لتفتش عنه ولا تجده فتبطيء، وهي تعود الى غرفة النوم، أين ذهب جاسون؟

www.rewayti.net

وأخذت حماماً سريعاً وارتدت ملابسها ومشطت شعرها ورغم احساسها بالعطش لم تتوقف لتشرب وأسرعت الى الخارج. ولفحتها حرارة الجو، كانت السماء صحواً، ثم استطاعت أن ترى ما حولها. كان الجزء الرئيسي من الفندق يقع الى يسارها، والحديقة تمتد منه في شكل هلال حتى تطل على الخليج، والأجنحة تمتد على أطرافها، وكلها بيضاء ولكل منها حوض سباحة خاص به ورأت الجميع يستمتعون بالفقر واللعب والسباحة. فخلعت رداء الشاطىء الذي يعلو ثوب السباحة وقفزت في الحوض الخاص بهما، وهي تقول ان كان جاسون قد ذهب الى مكان ما على هواه، فلتغتنم هي فرصة وجود حوض السباحة. وأخذت تسبح وهي تحاول أن تقنع نفسها بأنها لا تبالي وأنه من الأفضل لها أن تموت قبل أن يعرف جاسون أنها تبالي، وفجأة رأت ظله يسقط على الماء ونظرت اليه ورأته يحدق فيها، ففاضت عيناها بالدموع. وقال لها

"الافطار في الطريق، من الأفضل أن تخرجي."

ولم يمد يده ليساعدها على الخروج. وتمنت ألا يلحظ الدموع التي اختلطت بقطرات الماء وقالت له:

"أي افطار، هل تقصد الشاي، أليس كذلك؟ كان عليك أن تخبرني أنك سترحل طول اليوم."

"شاي؟ طول اليوم؟ ما الذي تتحدثين عنه؟"

"لا تحاول أن تبدو ظريفاً."

وتجاوزته الى حيث جاءت بمنشفة ثم عادت فرأت الخادمة المكسيكية الصغيرة قادمة وهي تدفع عربة طعام مغطاة وبدأت تفرغ الأطباق والأكواب على مائدة صغيرة وقدمت لميراندا قائمة طعام، وقال لها جاسون أنها تسألك هل تودين افطاراً فرنسياً أو أميركياً أو مكسيكياً فردت ميراندا بحدة:

"اسمع، أنا أعرف أني نمت، لكنك لا يجب أن تغالي الى هذا الحد، قل لها أني أريد فاكهة وخبزاً فقط مع القهوة."

وهز كتفيه وتحدث للفتاة باللغة المكسيكية

فابتسمت وبدأت في رفع الأشياء. وجلس جاسون وهو يسألها

"في أي وقت تعتقدين أنك استيقظت؟"

"في الساعة الثالثة."

فضحك وهو يقول

"في الساعة الثالثة! هل عرفت ما نسيته؟"

وعندما عجزت عن الرد قال:

"نسيت ضبط ساعتك على الوقت الحالي. وهناك فارق ست ساعات!"

هل هذا هو كل ما يستطيع أن يتحدث فيه، حماقاتها حول أمور صغيرة. فهتفت محتدة

"ثم ماذا؟ ما أهمية ذلك؟"

"حقاً، ما أهمية ذلك؟"

وفي صمت سكب لنفسه فنجان قهوة وبدأ يقرأ جريدته. ونسيت ميراندا غضبة الكبرياء الوجيزة، في غمار تذكرها لكل ما مر بها في الليلة الفائتة. وبدأت تشعر كطفل يعرف أنه أخفق، رغم تلهفه أن يكون مبعث سرور، وبدأت ثانية في تأنيب الذات. لماذا شعرت بالرغبة في التملص من جاسون الليلة الفائتة؟ ولم تتجاوب معه؟ من الغباء انكار لحظات التملص الوجيزة المحيرة هذه، وخدع نفسها بأنه لم يلحظها والأكثر غباء أن تنكر تأثيره عليها... ان مجرد التفكير فيه يرسل رجفة في قلبها. لم تستطع الاجابة على هذه الاسئلة، ولم تتبين الطريقة التي تحطم بها الحاجز الذي أحست بوجوده بينهما هذا الصباح. وعندما طوى الصحيفة قال ببرود

"طلبت سيارة، لاعتقادي أنك تودين استكشاف المدينة."

ووقف وسار بجوار حوض السباحة وهو يقول:

"سأعود خلال ربع ساعة، ولذا فمن الافضل أن تغيري ملابسك."

www.rewayti.net

وبدون رد فعلت ما أمر به، وعندما عادت كان لا يزال واقفا هناك وسألها:

"هل أنت مستعدة؟ وأخذ نظارته الشمسية ولبسها. وأضافت العدسات السوداء الكبيرة المزيد الى قسماته الغامضة. وتنهدت وهي تسير معه الى حيث تنتظر السيارة.

وكانت هناك في هذا اليوم مناظر كثيرة استحوذت على انتباهها من المحلات الفاخرة والمقاهي السياحية الجذابة ومغازل المدينة القديمة بشرفاتها المليئة بأحواض الزهور وحبال الغسيل. وفي وقت الغداء حجز جاسون مائدة في مطعم يطل على البحر، حيث استطاعت من حيث تجلس أن ترى الخليج والتلال التي تحيط بالميناء. كان مشهدا تحبس له الأنفاس، لكن الحاجز القائم بينهما بقي، مفسدا ما كان يمكن أن يكون يوم سرور بالغ.

وعندما انتهى المساء شعرت بالحرارة والتعب. ولم تأسف عندما أعلن لها جاسون موعد عودتهما للفندق عزمه على أخذ دش ثم السباحة في الحوض الرئيسي في الجانب الآخر من الفندق، لكن عندما نزلا من السيارة سمعا شخصا ما ينادي جاسون، فالتفتا ورأيا رجلا في أواسط العمر قوي البنية يتقدم اليهما.

وتبين أن القادم الجديد رجل أعمال اميركي من معارف جاسون، وعندما عرف بحقيقة المناسبة التي جاءا من أجلها أصر على أن يكون ميراندا وجاسون ضيفيه على العشاء تلك الليلة. كان اسمه رون، وتألفت معه ميراندا فورا رغم الحذر الطفيف الذي أحسته من جاسون تجاهه وأخذ رون يتحدث عن أسرته في ووكلاند، وعن ابنته التي يقترب موعد زواجها، والاستعدادات التي تتم من أجل ذلك، وافترقا على أن يلتقيا مساء.

وعندما كانا يرتديان ملابسهما للعشاء سألته

"من هم الكلافاديستاس؟"

قال رون أننا سنراهم الليلة.

فرد جاسون: "انهم الغواصون."

ولم يرد، فقد كان منصرفا الى افكاره. كان يبدو وسيما للغاية في الملابس التي اختارها، وودت أن ترتمي بين ذراعيه، لتلتصق بقلبه. لكنها لا تستطيع أن تقوم بالخطوة الاولى، خوفا من صده وبينما أخذت تصعد بعض التنهدات أضافت اللمسات الأخيرة بالعطور وتأملت نفسها مدققة في المرآة، وتصاعدت دقات قلبها وجاسون يرمقها بنظرة اعجاب وان لم يعلق بغير عبارة:

"هل أنت جاهزة؟"

قالها مصحوبة برفع حاجبيه. وعلى العشاء كان مضيفهما على سجيته. فأبدى اعجابه بها باستفاضة، مما جعل خديها يتوردان وهو يقول لجاسون انه جد محظوظ اذ كسب تلك العروس الساحرة.

كان عشاء فاخرا مع رجل ولد مضيفا بطبيعته وفي جو رومانسي على نحو مدهش. وأحست بزوال التوتر وبالاسترخاء وبقليل من السعادة وأضفى الوميض الناعم للمصباح الموضوع بين الزهور خديها لونا ورديا وضاء. وكشف عن النداء الحنون في عينيها، الذي لم تكن تدركه. وأحدثت السهرة أثرها السحري، وعندما حان الوقت ليظهر الغواص هتفت

"انه سوف لا يقفز من هناك!"

وأومأ رون بالموافقة وساد الصمت عندما صعد الغواص الشاب النحيل الى قمة صخرة عالية وكان يمسك في يديه مصباحين مضيئين. ووقف هناك بلا حراك وبعد ذلك قفز من عل وهو يحرك المصباحين فوق رأسه مما جعله يبدو كالنجم اذا هوى. وكان الماء منخفضا عن مكان القفز بما يزيد عن مائة قدم.

وأغمضت ميراندا عينيها ورددت أفواه أخرى الزفرة التي أطلقتها وقال رون.

www.rewayti.net

"أعتقد أن عمق الماء يبلغ ثماني عشرة قدماً، انه رائع."

وهمست ميراندا بخوف وهي تنظر الى أسفل:

"هل هو بخير؟"

فرد جاسون وهو ينظر بدوره:

"نعم ها هو!"

ورأت ميراندا الغواص يخرج من الماء ثم يتسلق الصخور وبعد ذلك يختفي عن مجال رؤيتهم.

وحان وقت الذهاب. واشتد الاحساس بالاسترخاء بعد هذه الوجبة الفاخرة، وسار الرجلان يثرثران في كسل في طريق العودة الى الفندق، وودعت ميراندا رون وهي تحس بالأسف لصداقة جديدة سترحل سريعاً. هل سيرونه في لندن؟ هل ستتاح لهما فرصة زيارته هو وأسرته في الولايات المتحدة لو جاءت لجاسون رحلة عمل الى هناك؟ لو أن كل الصداقات القصيرة التي نعقدها تصبح دائمة لاصبح لنا عدد لا يحصى من الأصدقاء. وعندما وصلا الى جناحهما قال لها جاسون:

"انك تبدين هادئة تماماً. لم تندمي على تلك الأمسية التي أمضيناها مع رون العجوز."

"أوه، كلا استمتعت بها لأقصى حد. وأنت؟"

"يمكن أن تقولي أنها كانت تغييراً مثالياً."

وبدون أن ينتظر ردها مال عليها وعانقها. وبعد لحظات غمغم قائلا

"انك تبدين جميلة للغاية الليلة."

ولم يعطها أيضا فرصة للرد.

وقفت ساكنة بين ذراعيه، ثم انتابها احساس طاغ بالفرح، وبدأت نبضات قلبها تتسارع. وببطء رفعت يديها وأمسكت بهما كتفيه وان كانت لا تزال خجلى في استجابتها، فقوى قبضته عليها وزاد من عنف ضمه لها وسألها

"هل لازلت خجلى مني؟"

وضغطت وجهها على كتفه وهي تقول

"ليس على وجه الدقة، لكن... تلك هي المرة الاولى في حياتي!"

"أنا مدرك لهذا. هل يبدو الأمر شنيعا؟"

"كلا اذا... كلا اذا لم تكن نافد الصبر معي على نحو مجنون، واذا... فقال وهو يفك شريط شعرها الذي انسدل بين أصابعه

"اذا ماذا؟ استمري ياعروستي الجميلة الصغيرة. تكلمي بينما تتألقين مع المرات الأولى بين رجل وأمرأة."

"لكنها المرة الأولى بالنسبة الي ياجاسون. اما بالنسبة اليك فهي ليست كذلك."

وأحست أنه بدأ يتوتر فقالت:

"لم أقصد هذا، حاول ان تفهمني. اني أدرك أنك لابد قد عرفت نساء أخريات، وأنه كانت لك علاقات قبل أن تلقاني. لكني أنا لم تكن لي علاقات، لذا فأنا لست واثقة مما تريده مني."

"أعتقد ان هذه بحار لا يجب أن نغامر بالخوض فيها، لن أنكر الماضي، لكنه آخر شيء أود تذكره في هذه اللحظة."

"ان الامر كما تقول، ولا أود أن أخذلك أبدا."

"من قال أي شيء عن الخذلان. أنا لم أقل شيئا..."

"نعم لكن الليلة الفائتة... لماذا قلت؟"

"قلت ماذا؟"

"انك... انني لم..."

وفقد صبره فهتف بها قائلا

"انك ماذا؟"

"انني لم أستجب لك."

"كان هذا في الليلة الفائتة. وهو خارج عن سياق حديثنا تماماً. هل دائما تستشهدين بموضوعات من خارج السياق، ياحبيبتي؟"

"كلا.. لكن.. لم أقصد أنك فكرت أني لم أكن أريدك."

www.rewayti.net

"لا اعتقد أنك كنت متأكدة من أي شيء حينذاك."
"اردت أن أعرف فحسب."
"فهمت ما تريدين."
ومضت يداه تعزفان موسيقى الحب وهو يهمس:
"ألم تسمعي من يقول بأن لكل شيء أوانه؟"
ورفع ذقنها بيده وهو يحدق في وجهها بحب.
وذهبا الى غرفتها حيث تبددت مخاوفها وشكوكها في الليل المكسيكي الدافيء والمظلم. وقالت:
"من الأفضل أن نرسل بالبطاقات غدا والا سنعود الى الوطن قبلها."
"هل هذا مهم؟"
"نعم ويجب ألا ننسى ارسال واحدة الى ليبي. هل تعتقد أنها ستهتم؟"
"تهتم بماذا؟"
"فيما يتعلق بي. أقصد أنها اعتادت أن تدير بيتك خلال فترة طويلة."
"لماذا تهتم؟ ألا يحسن أن تنامي ياسيدتي؟"
"لا استطيع ان اوقف أتمن من أن مضيعة هي اليوم. الا تعرف هذا؟ لقد أمضى نهار بأكمله ونحو ليلتين وبقي لديها اربعة أيام فقط، لا اريدها أن تنقضي سريعا. بل لا اريدها أن تنقضي أبدا."
وقام بحركة مفاجئة أفزعتها وسند نفسه على كوعه ونظر اليها وهو يقول:
"عيناك تضيئان في الظلام... لماذا تضحكين؟"
"لم أضحك، لقد أكتشفت أن شيئا سمعته يبدو حقيقيا..."
"أوه، ما هو؟"
"أن الرجال عادة يودون أن ينداموا بعد..."
"وأن النساء يردن عادة أن يلزمن..."

٩ – صورة في مجلة

قال جاسون وهو يلتقط محفظة أوراقه الجلدية
"سأتأخر الليلة، فلا تنتظريني."
ورغم قرارها ألا تكون زوجة فضولية أو تهوى الاستجوابات، فانها لم تستطع أن تخفي قلقها، وقالت
"هل ستتأخر كثيرا؟"
"سحوب شركة "أي ايه- كومبيوناست" سيصل متأخرا هذا المساء، وسنتعشى معه في النادي. لكنه سيسافر الى بروكسل غدا وعندئذ قد تبدأ الأمور لبضعة أيام باحلوتي نخرج خلالها ذات ليلة."
لم يحذرها أن الزواج قد ينطوي على هذا النوع من الوحدة، ولو همس لها أحد بمثل هذا التحذير لضحكت في الأمر، لانها كانت تعتقد أن جوهر الزواج هو الحب والمشاركة والرفقة. وبعد أن انتهت من افطارها، بدأت تتوتر مرة أخرى لتفكيرها في الساعات الطويلة التي تقضيها وحيدة قبل عودة جاسون.
وقامت ووضعت الأطباق على العربة المتحركة، وأسرعت اليها ليبي من المطبخ وهي تقول لها:
"اتركي هذا لي ياسيدة ستيل."
ليس ندري ما أفعله هذا الصباح. وفي اي حال يتعين علي أن اتعلم أداء الأعمال المنزلية. فأنا لا أتصور أن أكون زوجة لا فائدة منها."

www.rewayti.net

ابتسمت ليبي ولم تعلق، وبعد قليل سألتها عما تريده في قائمة الطعام، فقالت لها ان جاسون لديه ارتباطات هذه الليلة وانها ستكتفي بما هو موجود، فردت ليبي قائلة:

"اعداد الطعام لشخص واحد لا يفترق عن اعداده لشخصين، فمادا تحبين؟"

"كلا بل يختلف، لان اعداده لشخصين يعني أن جاسون سيأكله معي.."

فقالت لها ليبي بلهجة تعاطف معها

"تزوجت رجلا مهماً، وطوال السنوات التي عملت فيها معه، لم يكن لديه وقت فراغ يذكر.."

"أحياناً أود لو أنه لم يكن بمثل هذه الأهمية، انا أعرف أنه يتحمل مسؤولية ضخمة، لكنه يرهق نفسه، هل هذا جرس الباب؟"

"سأذهب لأتحقق.."

ومرت لحظات سمعت ميرانداً خلالها هديراً متبادلاً، لكن بعد المطبخ عن الباب الرئيسي للمنزل لم يمكنها من أن تتبين ما يقال، وبعد قليل جاءتها ليبي وهو تقول

"انها السيدة لندستروم ياسيدتي.."

وجعلها شيء ما في النغمة التي قالت بها ليبي هذه الجملة، تبدو عابسة وتنظر اليها بحدة وتسألها

"السيدة... وهل عرفتها من قبل؟"

"لا أستطيع أن أحدد يا سيدتي، أستطيع أن أقول لها أنك على وشك الخروج، اذ كنت مشغولة لدرجة لا تمكنك من التحدث اليها.."

"كلا، من الأفضل أن أرى ما تريد، لعلها شخص..."

ولم تعلق بالعبارة التالية المكملة من معارف جاسون اذ بدت ليبي وكأنها تريد التملص من الموضوع، أم أن ميراندا توهمت ذلك؟ لا شك أن ليبي تعرف الزائرة، لكن اذا كانت من معارف جاسون فلماذا لم تقل ليبي هذا؟

وأسرعت ميراندا الى المدخل، ولسبب لا تدريه كان قلبها يخفق بعنف واحساسها يتزايد ضيقاً مما جعله متوترة، ووقفت لحظة أمام المرآة لتلقي نظرة سريعة على شكلها وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تفتح باب غرفة الجلوس لترى الزائرة، ومضت هذه برشاقة وأقبلت بسرعة نحو ميراندا، وهي تقول

"سامحيني لتطفلي عليك في هذه الساعة وبدون سابق انذار، ولكني حماقة مني، هل أنت زوجة جاسون؟"

"نعم... ياسيدة لندستروم اجلسي لو سمحت.."

"شكراً لك.. اسمي اليسيا، لكن أصدقائي يدعونني ليسا، فضلت أتطلع الى لقائك، لقد كنا مسافرين في الجزر اليونانية بعد زواجكما، ودهشنا بصورة بالغة عندما رجعنا من أسبوعين وسمعنا أن جاسون تزوج، انها أصدقاء قدامى، وهو وزوجي ... ما معاً، لا أعرف اذا كان جاسون حدثك عنا، لكن كان علي أن أجيء وأن أقدم تهانينا..."

كان للزائرة طريقتها في اقامة العلاقات واسقاط حواجز الغربة في وقت يسير،

وانتصب لها ميراندا وهي تقول بصراحة

"لا أذكر أن جاسون تحدث عنك او عن زوجك، لكن ربما فعل ... هل لديك وقت لتناول بعض القهوة سيدة لندستروم.."

"اود ذلك فعلاً، لكن أرجو أن تدعيني باسم ليسا لو سمحت كما يفعل الجميع.."

ودعت ميراندا لتطلب من ليبي اعداد القهوة، وجلست ليسا ... استرخاء وبدأت تروي ميزات قضاء العطلات في الجزر ... وعندما جاءت ليبي تحملت، ونظرت كلاهما الى الأ... ولمحت ميراندا هذه النظرة وأحست برجفة الحيرة، ... أنها ترى نظرة التحدي في عيني ليبي، وعدم ... في عيني ليبي وقالت ليسا

"... لا تنسي أبداً، فهي تتذكر أني أحب القهوة بلا حليب.."

www.rewayti.net

وردت ليبي وهي تضحك:

"اني أحتفظ بقائمة في المطبخ بما يحبه وما يكرهه ضيوف السيد ستيل فتلك هي الطريقة الوحيدة للتذكر."

ومضت في طريقها وبعد أن انتهت ليسا من قهوتها سألت:

"هل أنتما خاليان في عطلة نهاية الأسبوع؟"

"لست متأكدة، أنا خالية، لكني لا أعرف ما اذا كان جاسون خاليا أم لا."

"سيكون عليه أن يخلي نفسه. فأنا أريد أن تشرفانا في عطلة نهاية الاسبوع هذه، لأننا سنقيم احتفالا بزواجكما. فالجميع يتطلعون الى الالتقاء بك."

"هذا كرم منكما، وسأخطرك بظروفنا."

"سأترك لك رقم التليفون، والآن أريد وعدا بأنك ستأتين، قولي لجاسون أن عليه أن يبقى خلال عطلة نهاية الاسبوع هذه خاليا من الارتباطات والعمل. يالسماوات علي أن أسرع فقد تأخرت."

واخذت ميراندا صينية القهوة وذهبت الى المطبخ. كانت ليبي قد ذهبت الى المتجر. وقررت ميراندا أن تخرج بنفسها لشراء بعض الحاجيات، وتركت مذكرة بذلك لليبي وأفهمتها ألا تعدلها غداء لانها ستأكل أي شيء في الخارج.

ومضت تتفرج على المحلات واشترت بعض اشياء لجاسون وعددا من الاسطوانات. وانقضى اليوم بدون أن تشعر به، وعادت الى المنزل في السادسة. نسيت زائرة الصباح وأخبرتها ليبي عن أنواع الاطعمة المعدة والتي يمكنها تناولها متى أرادت. وبعد انصراف ليبي جلست ميراندا تستمع الى الاسطوانات، وأحست بأنها لم تعد وحيدة فالموسيقى معها. وبعد ذلك غسلت شعرها واعتنت بأظافرها، ثم جلست تنتظر جاسون. وفي الساعة العاشرة سمعت صوت باب الكاراج يغلق فأسرعت الى المدخل لملاقاته وهي ترتدي ثوبا طويلا من الشيفون الأزرق يتطاير حولها، وألقت بنفسها بين

ذراعيه فسألها.

"هل افتقدتني؟"

"أنا مسرورة لأنك لم تتأخر أكثر من هذا."

"شعر ضيفنا بالارهاق نتيجة السفر، ومن ثم اقتصرت الأمسية على المناقشات الأساسية. هل أمضيت يوما طيبا."

"رائع، لقد ذهبت للتسوق واشتريت لك هديتين."

وأسرعت الى غرفة الجلوس وأعطتهما له وهما يمضيان الى غرفة نومها، وهو يقول لها.

"انه ليس عيد ميلادي."

"كلا... هل تريد شيئا تأكله؟"

"لا شكرا."

وجلس ليفتح الهديتين وأخرج أدوات الزينة التي أحضرتها وهو يقول لها

"سيرى لك، أين الضمان؟"

"أي ضمان؟"

"أليست تلك الانواع هي التي تضمن أن الرجل لن تستطيع الشيء مقاومته؟ هل سأحدث حالة من الاضطراب لو ركبت المرآة بعد استخدامها؟!"

"انك نادرا ما تستخدم المترو."

"يمكن أن أجربها حالا، في هذه اللحظة."

"في هذه الحالة لن أنال منك شيئا."

وتظاهرت بأنها غير مبالية ووقفت وهي تعرف أنه سيقبض على معصمها ويسحبها اليه. كانت تلك هي قواعد اللعبة [illegible] وبالفعل حدث هذا وسقطت بين ذراعيه وهو يغمغم

"[illegible] أنه ليس هناك ما يمكن أن تأخذيه مني، لكني لم أقل [illegible] هناك ما تستطيعين أن تمنحيه لي."

"[illegible] بما حصلت على الانطباع الخاطئ."

"[illegible] كلك... واحرصي على ألا يتكرر ذلك."

[illegible] بأن عصابة شعرها المخملية تنزلق من على رأسها

www.rewayti.net

تحت سيطرة يديه، وجاست أصابعه في شعرها الحريري.

وبعد فترة طويلة كانت مستلقية في سرور وهي نصف مستيقظة، ودقت ساعة الردهة معلنة منتصف الليل فسألته:

"جاسون، هل مازلت مستيقظا؟"

"لم أكن مستيقظا، لكني استيقظت الآن."

"لقد تذكرت..."

فالتفت اليها وهو يقول:

"أود لو تفقدين ذاكرتك ليلا. هل الأمر هام؟"

"كلا، جاءت امرأة هذا الصباح، امرأة أنت تعرفها يا حبيبي، اسمها السيدة لندسترن."

فهتف حانقا:

"ماذا كانت تريد؟"

"جاءت تبلغنا أمنياتها لنا بالسعادة. كانت هي وزوجها في أجازة ودعتنا لنمضي عطلة نهاية الاسبوع معهما. وقلت... ما بالك ياجاسون؟"

"وأنت لم تقبلي؟ أليس كذلك؟"

"حسنا... نعم... على الأقل قلت اننا سنذهب اذا كنت خاليا."

"ليس لدينا وقت. ومستقبلا اسأليني قبل قبول دعوات أناس لم تقابليهم من قبل."

"لكنك تعرفهما، أليس كذلك؟ كنت زميل زوجها في الدراسة أو شيئا من هذا القبيل، ولماذا أنت غاضب؟"

"لست غاضبا."

"أنا آسفة، ظننتها..."

"من أجل السماء، دعينا ننام."

وأولاها ظهره واضعا وسادة فوق رأسه.

وفي الصباح لم تكن استجاباته على الافطار ودية، واضطرت للكف عن التظاهر بأن شيئا لم يحدث، وغرقت في صمت تعس. وأخيرا نظر اليها وهو يقول

"سألغي هذه الدعوة فأنسها."

"كما تريد، فلا يهمني أن تذهب أم لا."

ولأول مرة لاحظ أن طعامها كما هو لم يمس فقال بحدة:

"لم لم تأكلي شيئا."

"لست جائعة."

"بالمناسبة هل حجزت موعدا مع طبيب الاسنان؟"

"لا."

"سأرتب لك أن ترى طبيبي، اليوم اذا كان ممكنا، انه رائع."

"نعم، لكن ليس اليوم، فسأذهب الى مصفف الشعر."

"غدا اذن."

"سأقابل سوزان لتناول طعام الغداء، فلم أرها منذ وقت طويل."

"ان هذا سيجرنا الى عطلة نهاية الأسبوع، كلا يا ميراندا، لن نمضي أسبوعا آخر يقض فيه ألم الأسنان. ساجعنا ليلا، فليس هناك معنى لأن نعيش بألم يمكن علاجه. سأتصل بك من المكتب في العاشرة لأخطرك بالموعد، وعليك أن ترتبي مواعيدك الأخرى في ضوء هذا."

وبعد ذهابه أخذت تفكر في مبعث غضبه، ولما تعبت داعبها الأمل في أن يكون عاد لطبيعته عند رجوعه مساء. واتصلت الآنسة مايو تقول لها أن موعدها مع طبيب الأسنان [illegible] له اليوم التالي الساعة الثالثة والربع بعد الظهر. وفي [illegible] جاء جاسون بحقيبة مليئة بأوراق العمل اختفى بها في [illegible] عقب العشاء مباشرة، ولحق بها في التاسعة، ولم [illegible] بشيء عن الدعوة ولم تخاطر بسؤاله. ماذا يسوؤه فيما [illegible] بآل لندسترن. وتذكرت الرجفة التي انتابتها وهي [illegible] للقاء ليسا والنظرات المتبادلة بين هذه وبين ليبي.

[illegible] اليوم التالي ذهبت للقاء سوزان في كافيتريا. كانت [illegible] تنفرد فيها بسوزان منذ زواجها ولديها أشياء

www.rewayti.net

كثيرة تود محادثتها عنها وقالت لها سوزان:
"الجميع يسألون عنك خاصة ريتا هارفي."
"من تلسعه بلسانها اللاذع حالياً؟"
ولم تقل لها سوزان أنها هي، أي ميراندا، التي تشكل موضوع الحديث والرهان حول مدى دوام زواجها بجاسون. وأن ريتا تقدر لها بستين على الأكثر. لكن سوزان حكت لميراندا عن تدخلات وأقاويل ريتا عن علاقة سوزان وراي وبدت سوزان مضطربة لا يقر لها قرار ثم قالت
"لا أدري كيف أقول هذا، لكن يجب أن أقول، لم يكن من الواجب أن أكرر تلك الأشياء التي قلتها لك قبل زواجك. لكني أعتقد أن على أن أفعل، أن أحذرك، لأنه بعدئذ..."
وشحب لون ميراندا وهي تقول:
"ماذا تعنين بكلمة بعدئذ؟"
"حسناً، كنت ستصبحين تعسة لأقصى حد، وسيكون هذا خطأي لأني أعتقد أنه كان خطيئاً، أنت تعرفين أن ريتا صديقة دومي تريفرز وهذا صديق لا مبرور وهو بدوره صديق لفريير."
وتدخلت ميراندا قائلة
"و لأخير كان صديقاً لجاسون قبل أن يتورط كلاهما مع كاترينا كاي. أعرف هذا لكن كان من المتفق أن يعقل فريير الى روما قبل أن يحدث هذا. وسيعود الشهر المقبل وسندعوه للعشاء ذات ليلة."
"إذن فجاسون يحكي لك عن أشياء كثيرة."
"معظم الأشياء."
حقاً انه يحدثها عن العمل وعن رحلاته، لكنه لا يقول لها عن علاقاته الماضية. وقد قال لها ذات مرة أنها لابد وقد سمعت عن حكايته مع كاترينا، وأضاف أن الأقاويل عادة لا تحوي واحداً في المائة من الحقيقة. ونظرت ميراندا الى صديقتها التي بدت تعسة وقالت

"جاسون لا يسمح للمسائل الشخصية أن تؤثر على العمل، لقد شعر بالضيق من مايك في ذلك الوقت، لكن لم يكن له دخل في سفره الى ايطاليا؟ ماذا تحاولين أن تخبريني به ياسوزان؟"
"هذا مفجع وأنا آسفة، أنا واثقة أنها اشاعات، تزوجها ريتا."
اني اتساءل هل تعرف ريتا معنى كلمة ثقة لقد اخترت أن اثق فيه، انه لم يكن ليتخلى عن حريته اذا ما كان يريد أن يعصي من علاقة الى أخرى."
"أوه، أوافقك تماماً. أنا أعرف أن ريتا حاقدة لأنها لم تكن أول من يعرف. وقلت لها هذا، فقلت أنه لا دخان بدون نار مع رجل مثل جاسون."
"حقاً!"
"نعم، لكني أصررت على أن تخبرني لأني شعرت أنه أن الأوان لمعرفة ما اذا كانت هناك حقائق فعلية وراء تلك العبارات التي تلقي بها. لقد بدأ الأمر في الليلة التي ذهبت فيها ريتا الى المسرح مع صديق لها. وكان هذا هو الأسبوع الذي عاد فيه جاسون من ستوكهولم. على أية حال ففي الاستراحة ذهبت ريتا للحصول على شراب ورأت..."
وصمتت ميراندا بحدة مقاطعة
"لا..."
"ما بالك؟"
"لا شيء، لكني لا أريد سماع المزيد من حكايات ريتا ولا أهتم بما رأت مع زوجي، لا أريد مناقشة هذا امتهاناً."
"نعم أعرف هذا، لكني أعتقد أنك يجب أن تعرفي، للتستقيم الأمور. ولهذا فأنا..."
"هناك ما يتعين تقويمه. ان ما فعله جاسون قبل زواجي شيء من فضلك انسي هذا."
"حسناً."
وبعد فترة صمت سألت ميراندا سوزان.
"ساخدين أجارتك؟"

www.rewayti.net

"خلال اسبوعين، هل صفحت عني؟"

"من أجل ماذا؟"

"أنت تعرفين."

"بالطبع صفحت عنك والا لما كنت أتغدى معك اليوم، لقد فعلت ما تصورته صواباً. والآن لننس هذا."

وبعد أن فرغا من تناول القهوة هرعت سوزان لعملها وذهبت ميرامدا الى طبيب الاسنان. وصلت مبكرة فجلست في غرفة الانتظار، وسرعان ما أخذت تفكر فيما كانت سوزان تود أن تقوله. ومدت يدها وتناولت مجلة ثم ألقتها ثانية، وبعد ذلك أخذتها ثانية، وأخذت تتصفحها حتى وصلت الى باب أخبار المجتمع والاشاعات واسترعت انتباهها صورة اسم معين. كانت صورة على نصف صفحة لكاسريا كاي وتأملتها وهي لا تشعر بالغيرة. ثم بدأت تقرأ كلام الصورة فأحست بالصدمة فقد جاء فيه:

"فليذهب القديم الى حيث شاء، فقد أقام فارسنا علاقة حب جديدة تحكي قصته الصورة المنشورة الى اليسار، وفيها فارسنا يبدو غير مهتم بما مضى، ولماذا يهتم، فقد عادت الى دراسة السيدة اليسيا لاندسترن انه فتى شركة كاروما ستيل."

اسقطت ميرامدا المجلة... اليسيا؟ بدأت الصورة تتكامل، تلك هي الفتاة التي اعتادا الحديث عنها. انها مصدر الاشاعات التي ترويها ريما هارفي... انها هي المرأة المتزوجة.

واجتاحتها أمواج الرعب، رغم جهادها لاستعادة رباطة جأشها والسيطرة على شكوكها. لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً. انها مبالغة انها مجلة قديمة، والتاريخ يؤكد هذا وبحثت عن التاريخ فوجدت أنه عشرين نيسان (ابريل). انها ليست قديمة. بل صدرت بعد أسبوع من زواجها. لكن متى أخذت الصورة؟ ألا يستغرق طبع المجلة أسابيع، لكن ليس

كل المجلات كذلك، لا شك أنها التقطت قبل تلك الليلة التي قدم فيها اقتراحه بالزواج منها. لكن اقتراحه كان مفاجئا وجاء تحت تأثير مفاجأة السيدة سوندرز لهما. هل ما يزال يحب ليسا؟ هل هذا تفسير تصرفه ازاء دعوتها هذا الاسبوع؟ ونادت عليها الممرضة، ولما رأت اضطرابها عرته الى خوفها من الدخول لطبيب الاسنان، فحاولت طمأنتها.

وبعد قليل خرجت بحشو جديد نسيها قضى على الآلام، لكنها كانت قد اصيبت بألم في مكان آخر لا يفلح شيء في التخفيف منه. وكانت غرفة الانتظار خالية، فنظرت حولها لتطمئن أن أحدا لا يراها وسرقت المجلة وخرجت لا تلوي على شيء.

www.rewayti.net

١٠ - الرحلتان

كان الغلاف الأسود الفضي اللامع لتلك المجلة مبعث أرق ميرندا خلال الأسابيع التي تلت ذلك، وأصبحت كل تفاصيل الصورة المنشورة في الصفحة السابعة والثلاثين محفورة في ذهنها، وكانت طوال طريق العودة الى البيت في ذلك المساء، مصممة أن تسأل جاسون متى قابل ليسا آخر مرة، لكن عندما حان الوقت وسألها عن نتيجة فحص أسنانها لم تجد كلاما تصوغ به سؤالها، ولا شك أنه كان من السهل عليها أن تقول ببساطة:

"كانت هناك مجلة في حجرة الانتظار... انظر."

وتريها له وتنتظر تعليقه، لكن ذلك كان شأنه شأن كثير من الأمور النظرية التي يصعب تنفيذها عمليا.

أخفت المجلة في درج طاولة الزينة، وحاولت أن تنسى وجودها وأكد لها احساسها أنه ليس لديها مبرر أن تشك في اخلاص جاسون، وأنها ستكون حمقاء لو سمحت للشكوك أن تسمم حياتها وزواجها، لكن رغم هذه المحاولات أحست أن شيئا بدأ يدبل في العلاقة الجديدة الهشة بينها وبين جاسون. وكثيرا ما كانت تتذكر تلك الأمسية السعيدة التي انتهت نهاية غير سعيدة عندما تذكرت زيارة ليسا، ورغم أن ليسا لم تتصل وهي لم تذكرها، أحست أن شبحها شيء ملموس يجثم في طريقها، وأيقنت أن جاسون لا شك لاحظ تحفظها

ازاءه لكنه لم يعلق أبدا على ذلك.

وفي صباح أحد أيام شهر حزيران يونيو، نظر اليها من فوق رسالة أخرجها من بريد الصباح الشخصي، وقال لها فجأة:

"اننا نحتاج الى راحة قصيرة، وعلينا أن نأخذها قبل هذا."

وناولها الرسالة وتأملتها فوجدت أنها بطاقة فضية، وليس رسالة وقرأت ما فيها ثم قالت مندهشة:

"عيد زواجهما الياقوتي، اي الأربعين، أليس كذلك؟"

فأومأ قائلا:

"انه رئيسنا شارل. عاش هو وزوجته طوال أربعين عاما في جنة زوجية، وأعترف بأنهما يستحقان احتفالا."

وتظاهرت بأنها لم تلحظ نغمة السخرية في صوته، وأضاف:

"اننا مدعوان في العاشر من الشهر المقبل. آمل الا تكوني مشغولة."

"لن أنشغل عن هذه المناسبة فأنا لا أجرؤ على التخلف عنها. وأعتقد أنهم يخططون لحفل رائع."

"نعم... وأعتقد أننا يجب أن نغتنم فترة قصيرة للراحة الآن، لأن ذلك لن يتاح فيما بعد."

"نعم أنت محقة في ذلك أن نأخذ فترة راحة هذا العام."

قلت لي أنك لم تأخذ اجازة منذ عامين."

"أنا أفكر فيك أساسا أين تودين الذهاب؟"

"أي مكان، وأفضل مكانا هادئا."

"وأنا أيضا، هل تذهب خارج لندن؟"

"اذا أردت. اين تريد أن تذهب؟ فهي أجازتك مثلما هي أجازتي."

"حسنا، أعتقد أننا يمكن أن نذهب الى هايلاندز. هناك مسكن جميل أذهب اليه أحيانا، في احدى القرى. ويطل على غابة. وهناك نهر قريب، صيد السمك فيه متعة. ولا توجد هناك تليفونات، وعلى الانسان أن يسير نصف ميل لأجراء مخابرة، أو يقود السيارة عدة أميال الى القرية. ان

www.rewayti.net

المشاهد هناك ليست من هذا العالم، وعندما أقول أنه هادئ، فأنا أعني هذا تماماً، لذا فقد يصيبك الملل بعد يومين.."

"من وصفك له يبدو رائعاً، وقد أردت دائماً الذهاب الى الهايلاندز فلنذهب اذا استطعت ترتيب هذا."

"أستطيع أن أنظم هذا فوراً."

"هل أخطر ليبي لترتب أمورها."

"نعم. وبالمناسبة علينا أن نشتري الهدية التي سنقدمها للسير شارل في أحد أيام هذا الأسبوع؟ هل لديك فكرة؟"

لم يكن لديها أفكار جاهزة. وبعد بضعة أيام ذهبا لشراء هدية تليق بهذه المناسبة، وبعد طول بحث اختارا كأساً فينيسية قديمة ونادرة من كريستال الياقوت، تكلف مبلغاً باهظاً حتى أن ميراندا رفضت حملها، لكن جاسون فعل ذلك بلا اهتمام أو عناية مما أرعبها، وقال انه سيطلب من الآنسة مايو أن تذهب بها شخصياً الى بيت الرئيس. ومع اقتراب الرحلة شعرت بأنها أسعد حالاً مما كانت منذ عدة أسابيع. وكان الجو دافئاً ومبشراً بصحوة والتنبؤات تبشر بموجة حارة.

كانت الشمس قد غربت عندما وصلا الى المسكن. وأصبح الصمت مطبقاً بعد توقف محرك السيارة، وسمعت ميراندا صوت مياه غدير قريب. وكان عليهما حمل المؤن وتفريغ الاكياس وتفقد المسكن واعداد الطعام واضاءة المصابيح. وقالت له

"لم تقل لي أنه ليست بالمسكن كهرباء."

"كلا، لكني حذرتك من أنك قد تملين."

وهزت رأسها وهي ترقبه متفقداً الكوخ وسألته

"كنت راغباً للغاية في أن تجيء الى هنا."

وعندما أومأ موافقاً، أضافت.

"يمكنك أن تعلمني صيد السمك، لقد أحببت هذه الهواية دائماً."

كانت تريد أن تصدق أنها ستجد خلال هذه الأيام

الهادئة رفقة جديدة مع جاسون. وفي الايام الثلاث الأولى لم يريا مخلوقاً آخر، ولم تحس أبداً بالملل ووجدت الكثير تستكشفه وتفعله فكانت الأيام تمضي سريعاً. وكان الغدير من الأماكن المفضلة لديها، ويقع على مسافة قصيرة من الكوخ. ويبدو كأنه كريستال دبت فيه الحياة. كان منظر الغابة أول ما تمتع به عينيها عند استيقاظها في الصباح. وكان هناك شاطئ رملي صغير يسبحان في مياهه الباردة كما كانا يستمتعان بالتمدد في الشمس ساعات طويلة.

ونسيت شكوكها تقريباً، ونجحت في محو ليسا من ذاكرتها. وعندما انتهى الاسبوع الاول أسفت لانه بقي لهما من الأجازة ثلاثة أيام فحسب، فحرصا على الاستمتاع بها لأقصى حد. وجاء اليوم الأخير حاراً للغاية فاتفقا على أن يقضياه في استرخاء بجانب البحيرة، وفعلا ذلك. وعندما رفعت بصرها اليه على حين غرة وجدته يتفرس فيها ملياً فسألته:

"ما بالك؟"

"لا شيء، لكنك تبدين منطوية في الآونة الأخيرة."

"كلا، لست كذلك."

"لست أقصد هذا، وانما أقصد قبل أن نأتي الى هنا، كأنما هناك شيء يقلقك."

"لا أظن."

وحرك رأسه كمن لا يوافق وفي الوقت نفسه لا يود المضي في الجدل. ونظر للبحيرة وهو يقول.

"أعتقد أنك لست..."

"لست ماذا..."

"لست تعانين أعراض الزوجية."

"أوه، كلا لست أعاني من هذا. لن يكون لي طفل اذا كان ذلك هو ما يقلقك."

"ليس ذلك ما يقلقني، انما أحاول اكتشاف ما اذا كان

www.rewayti.net

هناك شيء يقلقك."

شعرت بانقباض، وبحذر في أطرافها السفلى، رغم الشمس الحارة. تلك هي الفرصة المثلى لفتح الموضوع. ولا خوف من المقاطعة، لا هاتف ولا استدعاء لدوائر الأعمال، وهو يوليها اهتمامه كاملا، تلك هي اللحظة التي يتعين عليها فيها أن تجلس وتقول: "نعم، أنا قلقة، مذعورة، لأنك ربما مازلت تحب فتاة تسمى ليسا، فكل الدلائل تشير الى أنه كانت لك علاقة غرامية بها حتى عشية زواجنا، وربما حتى الآن، اني أعرف كل شيء، وأنت لم تقل لي أبداً حتى الآن أني أهم لك من أي امرأة أخرى في العالم، وأن دافعك الوحيد للزواج مني هو حبك لي وليس لأنك كنت تريدني، لأن هناك فارقاً بين الأمرين لديك". لكن لم يخرج من شفتيها أي من هذه الأفكار التي ظلت تعذبها والواقع أنها لم تجرؤ. فهي ما زالت لا تعرف الكثير عن الرجل الذي أصبح زوجها بدرجة تمكنها من التنبؤ بالنتيجة وقال لها فجأة:

"أعتقد أن هناك أمراً علينا أن نناقشه جدياً ذات يوم. هل تريدين أسرة؟ أحياناً أستطيع قراءة كل ما يجول في خاطرك. هل أنت من النوع المحب للأمومة؟ أذكر أنك قلت مرة بصراحة أنك تريدين زواجاً وبيتاً وأطفالاً."

"نعم أذكر هذا لكن هل تريد أنت أطفالاً؟"

"نعم أود طفلاً، ثم طفلة."

"اذن أعتقد أنه علي أن..."

"ليس الآن، فأنا أريد أن أتعود على حالة الزواج قبل أن أنتقل الى حالة الأبوة."

كانت هناك أكداس من الأشياء تنتظر عودتهما، خاصة البريد، والبطاقات التي وردت من أماكن مختلفة، وكان من بين هذه واحد لميراندا فأعطاه لها وهو يقول:

"أعتقد أنه ليس فاتورة؟"

"كلا، انه من السيدة غوردون صديقة عمتي. وسأقوم ببعض الترتيبات الخاصة بأشيائي."

"أي أشياء؟"

"بعض الأثاث."

"هل تريدين احضارها هنا؟"

"نعم، لأن السيدة غوردون تود احضار اختها لتعيش معها وتحتاج الى الغرفة."

"حسناً، ما هي المشكلة؟ لدينا الكثير من الغرف الاضافية في الطابق العلوي يمكن أن يوضع فيها كنز طفولتك، اذا لم تكوني تريدين التخلي عنه. وربما نستطيع أن نجد مكاناً للأشياء الأخرى."

"الحقيقة كنت أتساءل عن هذا، ولا أرى أن حاجيات العمة هيستر تناسب هذا المكان، انها طراز يناسب الأكواخ. والسيدة غوردون تقول أن موظف مكتب البريد مهتم بها ويريد شراءها."

"كلا، لا تبيعي شيئاً حتى ألقي نظرة عليه. من الأفضل أن نذهب الى هناك في أول فرصة، فالبعض من هذه الأشياء قد يكون قيماً لأقصى حد."

وبعد يومين ذهبا الى ايفشام وتغديا هناك، ثم ذهبا الى بيت السيدة غوردون وبعد انتهاء عمليات الترحيب، فحص جاسون الاغراض وقال أنه سيرسل سيارة لتحمل القطع الضخمة منها أما الأشياء الصغيرة فسيأخذانها معهما في السيارة.

سعدت ميراندا كثيراً بزيارة مسقط رأسها، وزادها سروراً روح جاسون المجاملة ومد عباءته. لكن ذلك لم يدم طويلاً، ففي المساء أبلغها أنه سيسافر في الأسبوع التالي، فقالت وهي تحس بالضيق:

"أوه، كلا، هل ستسافر مرة أخرى؟"

"نعم. ولا يمكن القول اني سعيت الى هذا، فروما ستكون ناراً اذا استمر هذا المناخ."

www.rewayti.net

"كم ستبقى هناك؟"
"يومين في روما ومثلهما في بون."
وساد الصمت لوهلة ثم تحرك الى جانبها ووضع يده على كتفها وهو يقول:
"لماذا لا تذهبين الى الكوخ لمدة أسبوع؟ اخرجي من لندن بحثا عن التغيير."
"لقد عدنا توا من هناك."
"ومع ذلك يبدو أننا رجعنا منذ سنين."
كان على حق في ذلك، فتلك الأيام العشرة لا تعوض. لكنها غمغمت:
"هل أذهب لوحدي؟"
"خذي ليبي سترعاك، وان استطعت أنا فسألحق بكما فور عودتي."
وبعد لحظة أضاف:
"فكرت ان هدايا عيدك ستكون متأخرة هناك. سأتصل بالشركة الناشئة صباحا وأعطي التعليمات لنقلها الى هناك لكن لابد أن تكوني أنت قد ذهبت الى الكوخ، ومن ثم تستطيعين أنت وليبي تسلية انفسكما بتغيير الأوضاع هناك."
وابتسمت موافقة ثم قالت:
"لنفرض أني أخذت ليبي، ثم عدت أنت مبكرا عما تتوقع، فمن سيهتم بك؟"
"أنا؟ أنا لست ذلك العاجز يا حبيبتي."
وهكذا تم ترتيب الأمر. وسافر جاسون يوم الاثنين، وكان قد اقترح أن يوصلها بنفسه في اليوم السابق، لكن ميراندا رفضت. فقد أرادت ان تراه حتى آخر لحظة، ثم تسافر بالقطار بعد الغداء. ووافق على مضض، فشجعها هذا أن تقترح توصيله الى القطار. فرفض بحزم، فقالت:
"أنا أعرف السبب. فأنت لا تريد أن يراك أحد وأنت تسافر

ولا أن يستقبلك أحد عند العودة. لكن أرجو أن تسمح لي بذلك مرة واحدة فحسب، أعطني فرصة وداع زوجي متمنية له السلامة مثلما تفعل الزوجات. وبعد ذلك سأقنع بمشاهدتك وأنت راحل من نافذة البيت وباستظار تليفون منك بأنك في طريقك الى المنزل."
"حسنا لكن هذا لا لزوم له في رأيي. كل هذا من أجل قبلة عاطفية وأهم الارض كلها ترقبك من حولك. ولو كنت تعرفين قيادة السيارة لهان الأمر، لكنه يتعين عليك البحث عن وسيلة للعودة. هل يستحق الامر كل هذا؟"
"أعتقد هذا. أرجوك."
"حسناً، لكل شيخ طريقته!"
وبالفعل حصلت على القبلة العاطفية، وقالت تلك الكلمات التي يقولها الزوجات والتي كانت تتطلع الى أن تقولها، وبعد ذلك بقليل شاهدت الطائرة تقلع. ولكن عندئذ بدأت الشكوك والمخاوف تعتصر قلبها، لأنها رأت امرأتين عن بعد احداهما سمراء والأخرى شابة تتحدثان معا، وعندما تودي على رحلة روما قبلت الواحدة منهما الأخرى وسارت الشابة الى الطائرة.
"لقد كانت ليسا."

www.rewayti.net

١١ - همس في الظلال

حاولت ميراندا أن تقنع نفسها بأنها أخطأت. قابلت ليسا مرة واحدة فقط، والمرأة التي شاهدتها في المطار رأتها من الجانب ثم من الخلف في تلك اللحظات التي تسبق الدعوة لركوب الطائرة. وربما كان شخصا يشبهها، لكنها كانت تعرف أنها لم تخطئ، وحين رأت رفيقة ليسا عندما كانت تغادر المطار، أحست بعدم جدوى محاولتها خداع النفس فقد أدركت من الشبه الواضح أنها أم ليسا وكانت ليسا أيضا على الطائرة نفسها، وربما في المقعد نفسه مع جاسون، وربما تتحدث إليه الآن وتشاركه الشراب، وترتب للالتقاء به في روما، إن لم تكن الأمور قد رتبت من قبل.

وحاولت التخلص من الشكوك. فربما لا تكون ليسا ذاهبة إلى روما، بل إلى باريس أو...

كانت ما تزال قلقة مشتتة البال خلال رحلة القطار إلى الكوخ في ذلك المساء، فلم تستطع أن تنسى الفتاة الرشيقة الهيفاء التي كانت تسير أمام جاسون، وكرهت نفسها لأنها لا تستطيع التغلب على مخاوفها. وتشبثت بأمل أن يحدثها تليفونياً هذه الليلة وأن يبدد صوته مخاوفها. لكن ذلك لم يحدث. وبدت الأيام التالية لا نهاية لها. وحاولت أن تبدو طبيعية بسبب وجود ليبي، وتمنت لو كانت قد أصرت على بقاء ليبي في بايرون سكوير. فلو كانت لوحدها لكفت عن التظاهر. كما أن ذلك كان سيتيح لها فرصة تنفيذ فكرة واتتها في رحلة العودة بالقطار، لكن لا يمكن تنفيذها وليبي موجودة.

ويوم الأربعاء أعلنت ليبي أنها ستذهب إلى القرية لشراء بعض الحاجيات، فكان لدى ميراندا نصف ساعة حرة. وبعد أن اطمأنت إلى ذهاب ليبي أخذت بطاقة ليسا من حقيبتها وجلست إلى التليفون. ولبرهة نظرت إلى الاسم والعنوان المطبوعين، وإلى ملحوظة صغيرة مكتوبة بخط يد ليسا تشمل رقماً ثانياً وأمامه عبارة رقم منزل أمي، وتذكرت قول ليسا أنه يمكن الاتصال بها هناك عندما تكون في المدينة، وهو ما حدث عادة.

وطلبت الرقم وفوجئت بالنمرة ترد فورا وصوت رجل يقول: "نعم، هنا لندسترن."

"من أستطيع أن أتحدث إلى السيدة لندسترن لو سمحت."

"أخشى أنه لا يمكن، فهي في روما. هل من خدمة أؤديها؟"

"كلا، إن الأمر ليس هاماً على الإطلاق. أنا آسفة لإزعاجك يا سيد لندسترن."

"كلا على الإطلاق. لقد هرعت ليسا إلى هناك لأن أختها تتوقع أول طفل لها، أخشى أني لم أتعرف على صوتك، فهل كان في مقدوري ذلك؟"

"كلا، فإننا لم نلتق."

وتلقت ميراندا ريقها وودت لو أنها لم تبدأ كل هذا. ولم [illegible] هناك مناص من تقديم نفسها وفعلت ذلك وساد صمت [illegible]، ثم أعلنت منه صيحة اندهاش، وقام بالحديث التقليدي ثم أضاف:

"[illegible] آسف أنك لن تستطيعي الاتصال بها هذا الأسبوع. لكنني [illegible] برؤية زوجة جاسون!"

"تأكدت مخاوفها الآن. ليسا في روما، وجاسون في روما [illegible] مستحيل ألا يعرف أحدهما أن الآخر هناك. وحتى لو

www.rewayti.net

لم يعودا صديقين، ولن يهدأ بال ميراندا، او يستقر زواجها، قبل أن يتقرر مصير هذه العلاقة. وعاشت هذه الايام في كرب وزاد من قلقها أن جاسون لم يتصل بها تليفونيا. وحاولت أن تشغل نفسها بشؤون البيت الريفي. وفي يوم الجمعة فوجئت بجاسون يصل بدون اخطار في الساعة العاشرة مساء. وكانت تحيته لها جافة ولم يحاول أن يقبلها عندما هرعت الى الباب لكنها تبينت أنه مرهق الى أقصى حد، ويكاد يسقط اعياء فهتفت به

"مادا بك ياجاسون؟"

"لا شيء اني على ما يرام، مجرد ارهاق."

"لا تبدو على ما يرام."

"لا تحدثي جلبة، سأكون على ما يرام."

وعندما سألته ليبي عما يود أن يأكله، قال لها انه متعبان ولا يريد شيئا. وتدخلت ميراندا تسأله.

"هل أكلت شيئا قبل هبوط الطائرة؟"

"نادرا ما أكلت خلال اليومين الماضيين، لاحساسي بالام في معدتي، ربما أكلت شيئا سبب هذا الألم." وقام واتجه الى السلم دون أن ينظر تجاه المرأتين المتحفزتين عليه. ونظرت ميراندا الى ليبي التي قالت:

"ليس من المفيد أن تفرضي طعاما عليه اذا كان يشكو آلاما في معدته لكنك عليك ياسيدة ستيل أن تقدميه بتناول أكبر كمية من السوائل، هل أخلط له عصير الفواكه مع ماء الصودا؟"

"نعم... كلا. سأقوم بهذا أنا بنفسي."

وبالفعل ملأت ابريقا من عصير البرتقال وماء الصودا ووضعته على صينية مع كوب. وأسرعت الى أعلى حيث وجدته غرفة النوم الرئيسية خالية، كانت هناك أربع غرف نوم في البيت، احداها واسعة يدخلها الهواء واثنتان أصغر والرابعة تكاد تكون صندوقا. وهناك وجدته، واشياؤه ملقاة

كيفما اتفق على السرير وعلى الارض وحدقت فيه فقال لها:

"لا تمدهشي هكذا، فسأوفر عليك سوما مضطربا."

وأخذ منها قدحا من الشراب وتناول قرصين من زجاجة وابتلعهما فسألته:

"ما هذا؟"

"مضاد حيوي."

"لا يمكن أن تنام هنا. ولابد أن يراك الطبيب اذا كنت..."

ومدت يدها الى جبهته فوجدته ساخنا فهتفت

"انك تعاني من الحمى... لابد من استدعاء الطبيب."

"استدعيت طبيبا في روما، ولم أذهب الى بون، فلا تحدثي جلبة لقد مرت المرحلة السيئة."

"ماذا تتوقع مني؟ ألا أهتم؟ لا يمكن أن تبقى هنا. كن معقولا أرجوك الغرفة ساخنة وسيئة التهوئة وغير مريحة."

"هل تحاولين اغرائي، ليس الليلة ياحبيبتي."

"لم أفكر في هذا."

وبدأت في جمع الأشياء المبعثرة وسمعته يقول:

"لا تقلقي سوف أعيش. اتركيني فحسب واذهبي لتنامي."

"كلا، سأبقى هنا، لاتأكد انك على ما يرام."

"ليس هناك ضرورة لذلك، لكن افعلي أي شيء بشرط أن تهدأي."

واتصلت الصينية ونزلت بها لتحكي عمومها لليبي التي قالت لها:

"لم أره مريضا مرة واحدة فقط طوال الأعوام التي عملت فيها هنا. كانت عملية جراحية في أربطة ركبته. لا تقلقي ربما كان مجرد اضطراب في المعدة ناجم عن كل هذه الأطعمة الفاخرة خلال حفلات العشاء التي تقام لرجال الاعمال."

وفي صباح اليوم التالي استيقظ واخذ حماما وحلق كالمعتاد وبعض تناول الطعام طوال اليوم واعترف بأنه يعاني هضميا. وظل كذلك حتى يوم الاحد حيث بدا أحسن

www.rewayti.net

تؤكد رجوعه لحالته الطبيعية وأجرى مكالمة مطولة مع سير شارل ثم رجع الى غرفة الجلوس حيث غاص في مقعد وهو يقول:

"السير شارل يرسل لك تحياته ويذكرنا بالحفل الذي سيقيمه يوم السبت المقبل."

وعادا الى بايرن سكوير في صباح اليوم التالي، وذهب جاسون فورا الى مكتبه. وبدا أنه شغي تماماً. وفي مساء ذلك اليوم ذكرها بارتباطهما في عطلة نهاية الاسبوع وسألها هل قررت ماستيس. كان قلقها على مرضه قد أنساها هذا الموضوع لكنها الآن تذكرت كل شيء بتعقيداته، لأنها أرادت من قبل مقابلة مرة او يزيد ان تتحدث معه عن تلك الفتاة التي كان لها دور هام في حياته وعندئذ لابد أنه يضطر الى التعليق على هذا او على الأقل يطرح الموضوع، لكن الشجاعة خانتها.

كان كل يوم يمر يزيدها توتراً، لتوقعها أن تتصل ليما تليفونيا لأنها لا شك عرفت أن جاسون مرض في روما. ولم تجيء أي مكالمات تليفونية وامضى يوم السبت بأكمله في هدوء. وفي المساء ارتدت ثوبا أبيض جديدا من الجرسيه الحرير الأبيض رائع التفصيل أضاف اليها مع تسريحة شعرها جمالا أخاذاً. ولمحت جاسون في المرآة وهي تضيف اللمسات الأخيرة، وقال جاسون:

"شكرا للسماء. لقد كنت أخشى أن تغيري رأيك."

وقدم اليها علبة مجوهرات وهو يقول:

"اشتريت هذه مساء أمس وهي تناسب ثوبك هذا، لكن لمعرفتي بالنساء كنت أتوقع أن أجدك غيرت رأيك في آخر لحظة."

وفتح العلبة وأخذ منها سلسلة فضية تتدلى منها قلادة جميلة من العقيق والفيروز وضعها حول عنقها، وأدركت حتى قبل أن تنظر اليها في المرآة ان جاسون دل مرة أخرى أنه يتمتع بذوق رفيع ومعرفة بما يصلح لزينة النساء.

وحملها تستدير لتواجهه، مبدياً اعجابه بزينتها. وحينئذ أحست بالخجل من كل شكوكها فيه وقالت له:

"انها جميلة. شكراً لك. انك تدللني ياجاسون."

وتطلعت اليه فقال:

"من الأفضل ألا أستمر في هذه المداعبات حتى لا افسد زينتك. وستضيعين وقتاً طويلا لاعادة زينتك الى ما كانت عليه."

وودت لو تصرخ فيه فلتذهب زينتي الى الجحيم، لكنها لم تجرؤ. لا شك أن منظرها سيحور قبولا عاماً. كانت تعرف أنه سيكون هناك نحو مائتي شخص في الحفل، البعض منهم من أكثر الناس ثراء من علية القوم الذين لم تكن لتقابلهم لو ظلت في الأقاليم ولم تأت الى العاصمة وتلتقي بجاسون. وقال لها وكأنه قرأ أفكارها:

"أنت لست عصبية، أليس كذلك؟"

"هل يتعين علي أن أكون عصبية؟"

"ليس هناك سبب على الاطلاق يدعوك لهذا. سيكون هناك عدد من أراذل البلاد الغرائب وقادمون جدد الى المجتمع الارستقراطي، وهؤلاء، ليسوا تشكيلة لطيفة."

"سأظل بمأى عنهم، وثق أني لن أسبب لك حرجاً."

"أيتها الحمقاء الصغيرة. أنا أحاول تحذيرك وحمايتك. وعلى أية حال فان تربيتك تزودك بالحماية من فساد المجتمع الارستقراطي."

"الفساد موجود في المجتمع كله مهما كان مستواه. انك تجعلني عصبية. عمن يجب أن أخاف اللعنة؟"

"لا استطيع أن أجيب لأني لا اعرف. هيا بنا لا اريد أن أتأخر."

وظل صامتا طوال الطريق الى فيلا سوفيد حيث يملك السير شارل وليدي هيوبارد منزلهما وهو قصر كبير قديم يطل على النهر. وأخذت تتساءل عما يحاول أن يحذرها منه. ان

www.rewayti.net

وجود ليسا ربما يكون هو السبب الوحيد الممكن. ماذا يمكن أن يكون غير ذلك. وعندما وصلا كانت ترتجف بعصبية وتود أنتهاء الحفل على خير. وأوقف العربة وقال لها: من الأفضل أن تنزلي وأن تنتظريني في الداخل حتى أجد مكانا للسيارة. وأرادت أن تعترض وأن تقول أنها تفضل أن تلازمه لكن وجود منادي السيارات بالقرب منهما ووقوف صف من السيارات خلفهما منعها من ذلك. فنزلت ودخلت الى المنزل حيث واجهتها الأنوار المتلألئة والموسيقى والأصوات المرحة. كانت رائحة الثروة نفاذة في كل مكان، فراء فاخرة وثياب غالية وجواهر رائعة.

وتلفتت ميراندا حولها وبدا أنها لا تعرف أحداً. لكن ليدي هيوبارد رأتها وأسرعت اليها وحيتها بحرارة وقالت لها:

"هل تتركين شالك ياحبيبتي وأنت تنتظرين جاسون. شكراً لكما على هديتكما القيمة، سنعتز بها دوماً. اننى وشارل مجنونان بهذه الكأس الفيضية الرائعة."

أي ذاكرة قوية. ان ليدي هيوبارد لا شك تلقت ما يزيد عن مائة هدية في هذه المناسبة ومع ذلك تتذكر من أهدى وماذا؟

وبعد أن وضعت ميراندا شالها في غرفة وضع المعاطف واطمأنت الى زينتها عادت الى الردهة حيث رأت جاسون يقف وسط مجموعة تفيض هيوبة ومد يده وسحبها الى الحلقة بطريقة جعلت قلبها يقفز حماً وطلب لها شراباً. كان الضيوف ما يزالون يتوافدون حيث يستقبلهم سير شارل مرحبا.

وعندما تحرك الضيوف الى غرفة الطعام رأت ميراندا عدداً كبيراً من الناس كانت قد التقت بهم بعد الزواج لكن لم يكن هناك أثر لليسا وزوجها. وكانت المائدة التي على شكل حدوة حصان مليئة بأرقى أنواع الأطعمة. وشرب الضيوف نخب المحتفى بهما ومال والي امبرور الذي كان يجلس الى يسار ميراندا عليها وهو يقول.

"انتظري حتى يتجاور زواجكما أنت وجاسون أربعين عاماً."

www.rewayti.net

www.rewayti.net

انظروا بعقل فإني أشعر اذا كنتم تريدون هواء نقياً
وهلموا جميعا الى قاعة الاستقبال حيث صفا
حاسب عليها وبركم

لا تعبر هذا آلة يستطيع
ليس هناك خطر ف

ت ة ابتسامة
"هل هي تسـ
تستطيعان ف

تهتاج بعضنا
همة أن ناسي ه
"أعتقد أن الاستيا
نكن أود أن ا
سؤالي هذا يطفئ

نعمل الهواء لنتنفس

www.rewayti.net

www.rewayti.net

١٢ - طعم الانتظار

[illegible]

[illegible] كانت تنوء به و تتحقق من [illegible]

[illegible] عدتها طويلا - أرادت [illegible]

[illegible]

www.rewayti.net

www.rewayti.net

www.rewayti.net

www.rewayti.net

www.rewayti.net

www.rewayti.net

www.rewayti.net

"الارهابيون كالعادة. لكن كان للمسألة طابع الانتقام الشخصي من المؤكد أن الميجور شومان كان هو الهدف الرئيسي، مع كل الرعب الذي كان سينجم عن ذلك لو نجح هذا الهجوم الذي استهدف بريطانيا بصفة عامة. ربما تتذكرون أننا وقعنا عقد ايجار جديد من ثلاث سنوات لاستخدام القاعدتين البحرية والجوية في روكال. ولسوء الحظ فان عناصر التخريب في الجزيرة أصبحت خطيرة بحيث اضطررنا الى أخذها بالشدة. وقد جرى ارسال الميجور شومان هناك كمسؤول للأمن. وأطلقت يده لاتخاذ أي خطوات يراها ضرورية. ومدى نجاحه يمكن الحكم عليه من جو السلم الذي يسود الجزيرة حالياً. ومع ذلك، لم يكف أعداؤنا. فقد تلقى تهديدات بالانتقام في ثلاث مناسبات، كان الأخير في شكل رسالة ناسفة وجهت الى زوجته، لكنها لحسن الحظ فحصت وأبطل مفعولها قبل أن تصل اليها، عندما كان هو..."

فقاطعه سير شارل سائلاً:

"هل هو ذلك الرجل ذو الرأس الكبير. أعتقد أني أعرفه."

"نعم، هو. أنهى مهمته في روكال وكان في طريق العودة مع أسرته. وسأل سير شارل في لهفة:"

"ماذا كان رد فعلكم عندما أخبروكم عن القنبلة؟ هل أخطروا الركاب؟"

"كنا قد اقتربنا جداً من فرانكفورت. وفي البداية قالوا أن هناك خللاً فنياً وأنه ليس هناك ما يخشى منه وأننا سنعود. ثم جاء الاعلان الثاني بأن هناك تغييراً في الاتجاه، وأنه ليس هناك ما يقلق. وبعد فترة لم يعلن شيء آخر ولم يستطع المضيفون أن يقولوا عالماً يحدث فبدأنا نتململ. خاصة الميجور شومان. وأخيراً لم يكن هناً مناص من اخطارنا لأنه كان لابد من تفتيش الطائرة وكل من فيها. وتلك تجربة لا يتخيلها الا من مارسها. وبدأ أربعة منا تحت قيادة ميجور شومان الذي تولى القيادة تلقائياً ومهندس الطائرة في تنظيم

التفتيش، وقررنا أن نخطر الركاب المضطربة أعصابهم عما نفتش عنه واخترعنا قصة عن سلاح مهرب وتهديد بالتطاف الطائرة، وقد تقبلوا هذه القصة بلا مناقشة، وجعل هذا الجميع مستعدين لتفتيشهم ولم تسفر المحاولة الأولى عن شيء فبدأنا نقلق بسبب التهديد بأن القنبلة في جهاز الانزال. لكن مهندس الطائرة أقسم أن هذا مستحيل وأكد أنه أشرف شخصياً على الاصلاح البسيط الذي تم في فرانكفورت. وأدى الى تأخير الطائرة... لقد كانت السيدة شومان هي التي وجدتها."

"أين؟"

"مخبأة في مربة الطفل، ابن شومان، كانت هي الشيء الوحيد الذي لم نفتشه."

وأصبح وجه ليدي هيوبارد أبيض من الرعب وهي تتخيل ماذا كان سيحدث. وأحست ديراندا بالفتيان وهي تتصور الصدمة والكرب اللذين كان سيصيبان الأم وصاحت:

"كم هذا بغيض."

"نعم لقد كان بغيضاً. وعندما وجدنا القنبلة كان قد بقي على موعد انفجارها سبع دقائق فحسب. سبع دقائق بيننا وبين الموت. وكان هذان الضيران من الجيش وكانا ينصلان بنا من فرقة المراقبة وعلى الارض. وأبدينا مهارة وخبرة في السبع دقائق، وصدقا لنا القنبلة كلها لو كانت أمام أعينهما وارشدانا الى طريقة ابطال مفعولها."

ولم يشترك أي منهم من الصمت الذي تبع ذلك. وفجأة رن التليفون مما جعل ديراندا تقفز واقفة على قدميها. وسار السير شارل لفرد وما لبث أن قال جاسون:

"انها الصحافة ولا شك أنهم يعرفون أنك هنا. وربما كان من الأفضل أن ترد وتنهي منهم وسار جاسون الى التليفون. ونظر السير شارل الى الساعة وأومأ لزوجته التي نهضت في أعقابه وهي تقول لديراندا أنها بالتأكيد للاشراف على

www.rewayti.net

اعداد الغداء، وأغلقت الباب خلفهما بهدوء واستمر جاسون في حديثه التليفوني وهو يوليها ظهره. وجلست هي متصلبة في مقعدها غير مصدقة كيف أنه نسي وجودها تماماً وراودتها الرغبة في تهرع اليه وتنزع السماعة من يده وتجبره على أن ينظر اليها. لكنها أحست فجأة بالدوار والضعف وبالحذر ينتشر في أطرافها وشعرت أنه سيغمى عليها... ومع الخوف شعرت بعكس الأحاسيس التي انتابتها منذ لحظات. فقد طغت كرامتها على كل ما عداها وصممت ألا تجعل نفسها مثار سخرية. وقررت أن حنانه هو آخر شيء تريده وأخذت نفساً عميقاً، وصلت الى الله ألا يستدير حتى تصل بها رجلاها المرتعشتان الى الباب. وحدث هذا واستراحت في هواء الردهة البارد. لم يظهر أحد ووصلت الى حجرتها في الطابق الأول متقطعة الأنفاس وارتمت على أول كرسي. لم تكن تدرك أن رد فعل ساعات الاجهاد والتوتر بدأ فجأة وفتح الباب واستدارت لترى جاسون يقول:

"ماذا هناك؟"

وهمست في صوت خفيض:

"لا شيء."

ونظر الى وجهها الذي بدا أبيض كالعاج وسار اليها وأخذ يديها وبمجرد أن جسهما قال:

"انك كالثلج، لماذا لا تقولين؟ سأحضر لك شراباً ساخناً."

وخلع سترته ووضعها على كتفيها، فقالت:

"لا أريد أي شيء."

"لا أعتقد أنك في حالة تسمح لك بمعرفة ما تريدين."

وبدت رنة سخط في صوته، فهزت رأسها وهي تحس خدراً وتقول في يأس:

"لا أريد ضجة."

"ضجة، ما الأمر معك بحق الشيطان ياميراندا؟"

"ألا يمكنك أن تدعني لشأني؟ لم أطلب منك أن..."

وأمسكها من كتفيها وجعلها تقف على قدميها في مواجهته وهو يقول:

"ميراندا، هل ستدعين شبح ليسا يقف بيننا الى الأبد؟ ألا تستطيعين أن تنسي؟"

لم تستطع أن تتحمل المزيد فانسابت دموعها منتحبة فجذبها الى صدره وهو يقول:

"استمري، استمري في البكاء لتنتهي من كل هذا، وعندئذ ربما استطعنا أن نبدأ ونتحدث بعقل."

وواصلت البكاء حتى تمالكت نفسها وقالت:

"أنا آسفة.. لم أرد أن أبدو حمقاء."

"لماذا حمقاء؟ ولم الأسف؟ الآن وبعد أن تخلصت من هذا التوتر ستشعرين أنك أفضل وربما تجيبين على سؤالي."

"أي سؤال؟"

"أنت تعرفين جيداً أي سؤال."

"كيف أستطيع؟ انك تحبها."

"أحبها! يا اله السماوات، أنا لا أحبها بل أحبك أنت."

لا يمكن أن يكون هناك خطأ في كلماته، انه من النوع الذي يزن كلماته جيداً أيا كانت الظروف وقالت له بصوت متهدج:

"انك لم تقل هذا أبداً."

"ألم أفعل؟ حسناً، أنا أقوله الآن."

كانت تود تصديقه من كل قلبها. لكن الاقتناع لم يؤاتها وقالت له:

"كيف تتوقع مني أن أصدقك؟ تزوجتني كرد فعل لاخفاقك... أنت نفسك اعترفت بهذا."

"ليس هذا حقيقياً تماماً ياميراندا. اننا جميعاً نقول أشياء ليست حقيقية كلها عندما نكون غاضبين، وكنت غاضباً للغاية في تلك الليلة. كنت غاضباً منك لأنك لم تصدقيني. وغاضباً من ليسا لأنها لم تدع الماضي يذهب. وقبل كل شيء كنت غاضباً من نفسي. لكن حتى حينئذ لم أكن مستعداً لأن

www.rewayti.net

أكون أميناً مع مشاعري. والآن سأكون أميناً. لم أكن حقاً أؤمن بنوع الحب الذي كنت تبحثين عنه. فكل المثل التي كنت أبحث عنها تحطمت في أوائل عمري. لقد صدمت في أول حب لي ولم أنس هذا أبداً، وكلما زادت تجاربي أدركت أن الحب الذي تبحثين عنه وهم وسراب، ربما لم أكن محظوظاً مع النساء، وكل من قابلتهن كن على الشاكلة نفسها. انهن يردن رجلاً يرغبهن. ويشرعن فوراً في اثارة الرغبات الجسدية، ثم يبدأن في الصراخ عندما يأخذهن الرجل بقيمهن ومعاييرهن ويكتشفن أنهم أثرن وهماً وليس حباً. ومن هنا يجيء تحطم القلوب. وعندما قابلت ليسا ظنتها مختلفة، ومرة أخرى كنت مخطئاً. ولذا فعندما قابلتك أدركت أنك مختلفة، لكني لم أدع نفسي أعتقد أن زواجنا يمكن أن يحقق في نهاية الأمر كل تلك القيم التي أوليتها ظهري، وهي القيم التي كنت تؤمنين بها بقوة. كنت أعرف أنك تحبينني وأنك مخلصة لي، لكني كنت أريد ثقتك أيضاً."

"لماذا لم تقل لي كل هذا منذ وقت طويل مضى."

"لأني كنت مكابراً. لكني تعلمت في تلك الدقائق السبع عن الحياة وعن نفسي أكثر مما تعلمته في السبعة وثلاثين عاماً التي مضت من عمري."

"اعتقدت أنك لا تبالي. وعندما لم تتحدث الي في المطار الا فيما ندر... انك لم تضع حتى قناع الجاذبية."

"قناع الجاذبية! هل هذا هو ما تعتقدينه عني؟"

"لم أكن أعرف حتى أظنه فيك؟"

"كيف كنت أستطيع أن أقول هذا الكلام في ذلك الوقت، وتحت بصر آلاف العيون. أنا آسف يا عزيزتي، ان أكون السبب في كل هذه المتاعب لك."

وقبل خدها وعينيها وأضاف:

"أنا أحبك، كيف أقنعك؟"

ولفت ذراعيها حول رقبته وتشبثت به تاركة اكسير

الحب يحدث سحره ويشعل حرارته وهي تغمغم:

"أوه يا جاسون."

"هل انتهى كل هذا. هل تتذكرين ليلة زفافنا كنت تعسة ولمتني، أليس كذلك؟"

"كلا، لمت نفسي."

"قلت لي ذلك حينذاك. بينما كنت ما تزالين غير واثقة فيّ لكنك لا شك تعرفين الآن الجو الذي كنت أعيشه لتدركي أنك عندما هربت مني تلك الليلة جعلتني راغباً في الاستحواذ عليك بدرجة خشيت عاقبتها وكان علي أن ألزم نفسي بالصبر. وكنت أعرف من البداية أنه وراء مظهرك البارد تخفين كرماً فياضاً في الحب، فرجل المناسب. لكنك كنت طفلة في طريق الحب، والرجل المجرب لا يتوقع من الطفل أن يجري قبل أن يتعلم المشي لذا تراجعت، ضد رغباتي الأنانية؟"

"لأنك كنت واثقاً أنك الرجل المناسب."

"هل تعتقدين أني كنت أهتم لو لم أكن أحبك بصورة أعمق حتى مما كنت أتصور أنا نفسي. كان علي أن أفكر في مفهومك المثالي عن الحب، وهو أنه في الحب يتعين على الانسان أن يفكر في سعادة الطرف الآخر قبل أن يفكر في سعادته هو."

"أردت أن أصدق أنك وقعت في حبي، لكني كنت أخاف أن أدع نفسي تصدق هذا، لخوفي من مشاعري تجاهك ومن سحرك الذي لا يقاوم لكنك كنت أميناً فيما يتعلق بالشيء العادي."

"أي شيء عادي؟"

"أنك تريد أن تحبني."

"آه يا حبيبتي الحمقاء. مهما كان الذي تعلمت أن تعتقديه عن الرجال ورغباتهم، فهناك جانب صغير عميت عنه، قولي لي، هل تستطيعين أن تسمحي لأي رجل أن يتملكك؟"

ونظرت اليه في رعب وملامحها تنطق بالاستنكار

www.rewayti.net

العنيف، فأضاف:

"حسناً، ألا تعتقدين أن الرجل يحس بالمتاعب نفسها ومهما كان ما سمعته من الرجال، فانهم قادرون على الاحساس بالحب في قلوبهم كما يحسون به في رغباتهم. واذا كنت تعتقدين أن هذا مستحيل، ألا تظنين أن هناك استثناءات وأن هذا الاستثناء هو أنا؟"

فضحكت وهي تقول:

"بالطبع، أنا آسفة ياجاسون."

"لم؟"

"لأني لم أقل بك. لان صبري نفد ولم أنتظر نضج علاقتنا. لقد أفرطت في اللوم، ولم يكن لدي ثقة كافية. لقد عانيت من الشك والحيرة أرجوك أن تحبني وأن تصفح عني، لأني أحبك كثيراً."

فهمس لها:

"استمري في حبي."

وفي وسط هذا سمعا طرقا على الباب فتركها وهو يلعن ويقول:

"ادخل."

ففتحت ليدي هيوبارد الباب وهي تقول:

"أليس هناك من يريد طعاماً، فاريت الساعة الرابعة والفائدة معدة في غرفة الطعام، وفي غرفة الجلوس ثلاثة صحفيين. والآنسة مايو سألت عنك وما اذا كانت لتقي في المكتب."

فرد جاسون وهو يرفع يده الى جبهته:

"يا الهي، مسكينة مايو نسيت أني قلت لها أن تنتظرني في المكتب وأني سأحدثها وأنا في طريقي من المطار الى البيت وأضافت ليدي هيوبارد:

"شارلي في المكتبة يتسلى مع المذياع، هل أقول أنكم ستنزلون خلال خمس دقائق."

فقال جاسون:

"كلا، أننا ضيفانا اليوم."

وتراجعت وهي تقفل الباب في هدوء وهي تبتسم لسيرانيدا.

وأغمض جاسون عينيه وهو يقول:

"لن يكون هناك متهرب اليوم، لكني أتساءل... أليس من الأفضل أن نتسلل الى مكان هادىء لولا."

"انا أريدك ياحبيبي، فكل ما يعنيني هو أن أكون حيث تكون."

وكان ذلك حقا وصدقا. فكل دواعي الاطمئنان التي بحثت عنها طويلا موجودة هنا، بين ذراعيه وفي الحب الواضح في عينيه وفي الفرح الباقي على وجهه. كان ذلك نهاية الحلم وبداية الواقع... وكان ذلك هو زواجهما.

rewity.com

www.rewayti.net